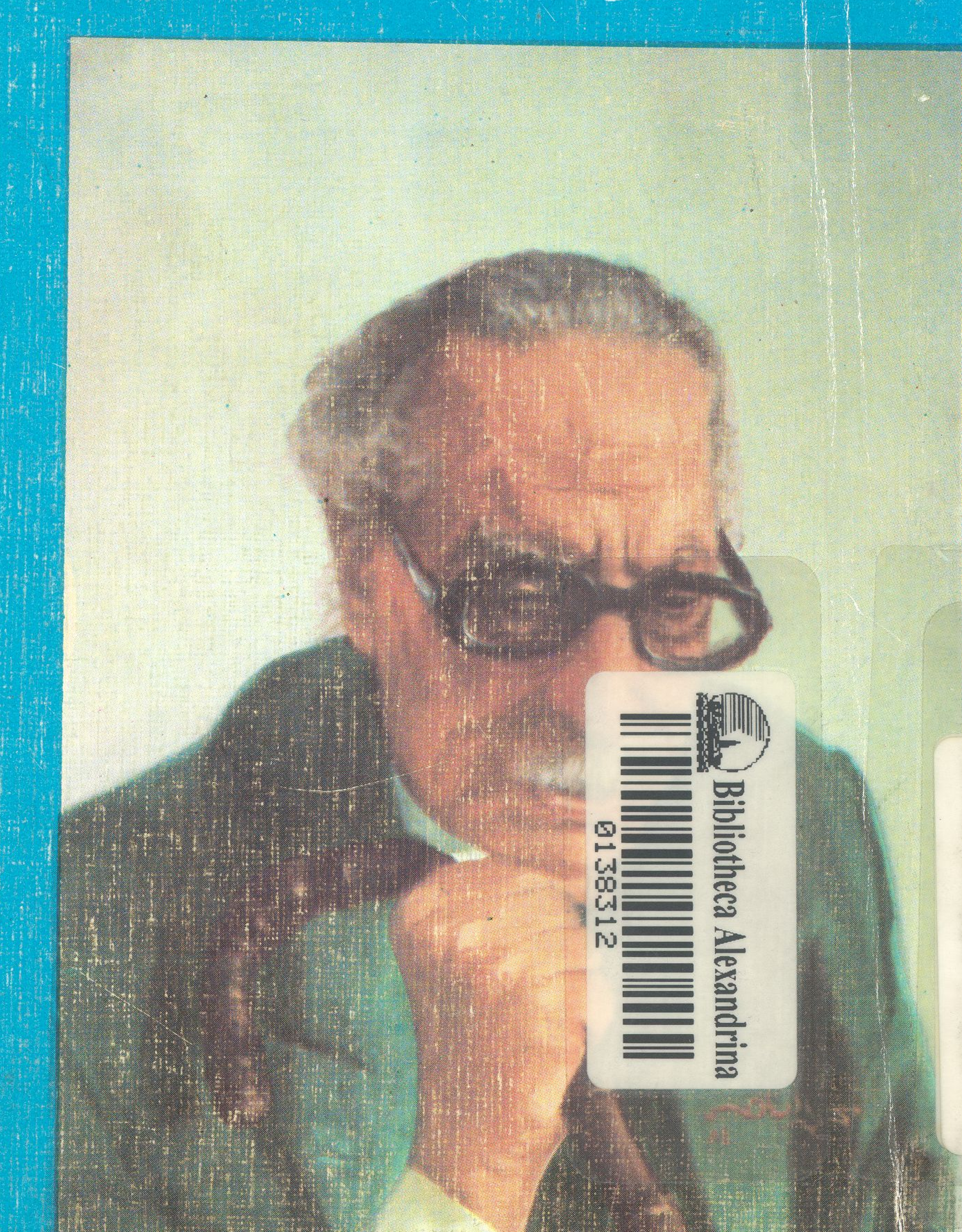
فتحى الابيارى

عشرة آلاف خطوة مع الحكيم



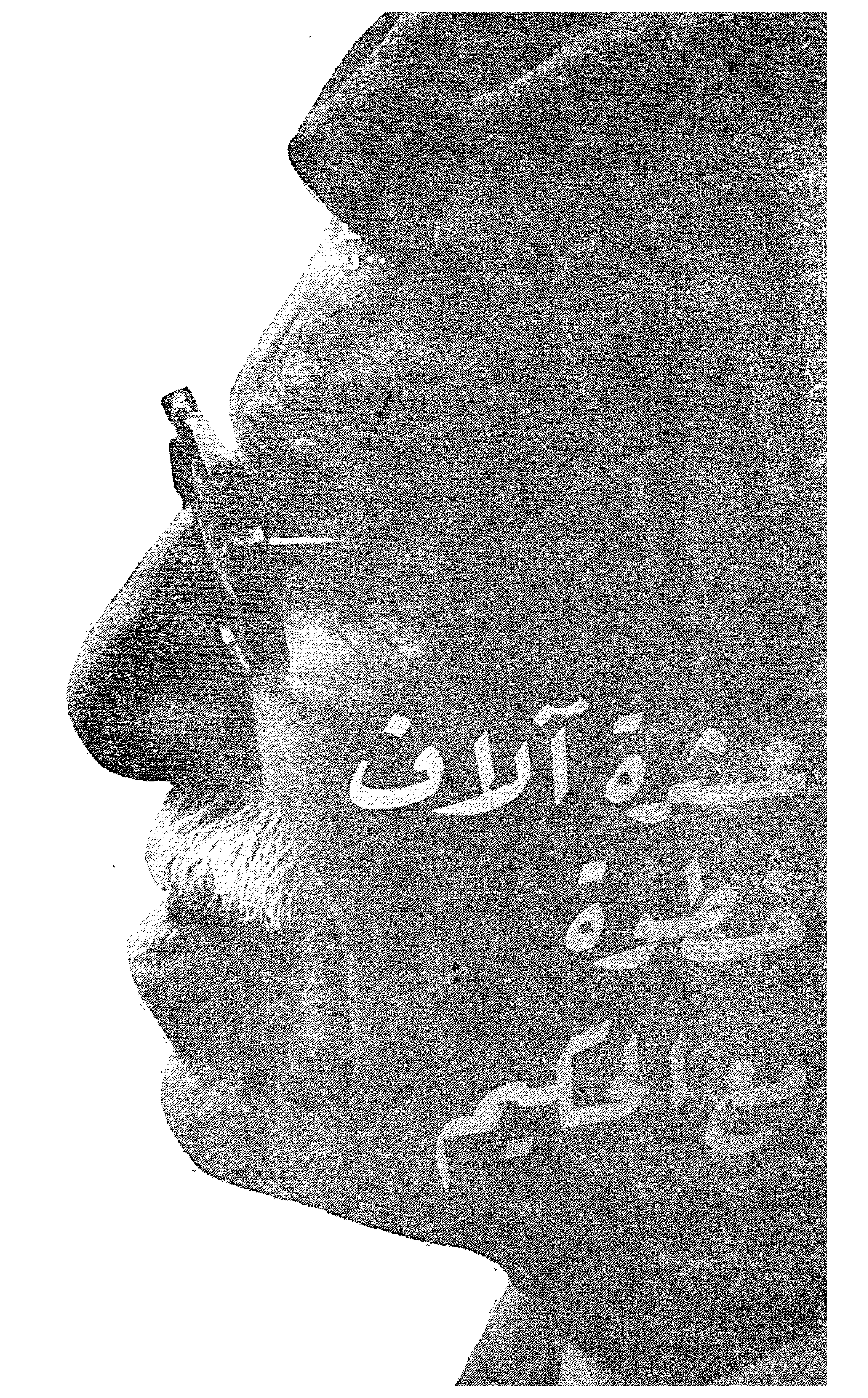
فتحى الابيارى

عشرة آلاف خطوة مع الحكيم

● تصميم الغلاف : الفنان محمد قطب .

● الصور مهداه /: من المصور الصحفى الكبير فاروق ابراهيم

● صورة الغلاف : من رسم الفنان محمد الناصر .



آلاف
الحكيم

يظهر أن جوهر وجودها هو في طبيعة النهر الذي نشأت فيه. طبيعة مصر
ومصر تستمد طبيعتها من طبيعة النيل. هذا النيل إنه يموت بالجفاف، ويبعث
بالفيضان. الموت والبعث. هذا سر مصر. ولذلك دهشت لأول الأمر
عندما تقدم باحث فرنسي برسالة دكتوراه لجامعة فرنسية يعرض فيها أن فكرة
الموت والبعث مستمدة من الحضارة المصرية قد لا تعني أنه إنما مصريا ولقد
أرض مصر في العالم بأول نوعي من وعيه ووعي

توفيق الحكيم



هذه الخطوات.. لماذا ؟



خطواتى الأولى .. مع الحكيم

عندما أعود بالذاكرة الى الوراء بعيـدا ، أيام أن كنت فى المرحلة الثانوية ، وكانت الصحف والمجلات الأدبية تتحدث عن ذلك الحدث الأدبى ، وهـو كتـاب « أهل الكهف » للكاتب الكبير توفيق الحكيم • وقراءتى لهذا الكتـاب رغم أننى لم أكن قد استكملت أدواتى الأدبية ، والنضج الأدبى الكبير ، الا اننى كنت ألهث وراء الكلمات والحروف ، والحـوار السـلس الجميل الذى كتبه توفيق الحكيم فى أولى كتبه «أهل الكهف» •

وهـذا الكتـاب يعتبر من الكتب الرئيسية التى حفرت اسم توفيق الحكيم فى عالم الأدب والخلود الأدبى، اذ أنه عندما طبعه ، قدمه الى عميـد الأدب العـربى

الراحل طه حسين فما كان منه الا أن كتب مقدمة مسهبة ، أشاد فيها بهذا الناشىء ، ووضع على صدره وساما بتلك المقدمة التى اعتبرها النقاد المهتمون بالأدب .. البداية الحقيقية لكى يأخذ توفيق الحكيم مكانه فى تاريخ الأدب العربى المعاصر .

وكانت مقدمة طه حسين لهذا الأديب الناشىء ، بمثابة شهادة ميلاد لأديبنا الكبير توفيق الحكيم . ومنذ تلك اللحظة ، بدأ الحكيم يثرى حياتنا الأدبية والفكرية والمسرحية ، بانتاجه الغزير فى كل المجالات ، بل بآرائه وأفكاره المتجددة ، وأحاديثه الصحفية الذكية اللامعة حتى هذه اللحظة من عمره المديد الذى جاوز الثمانين .

كانت مسرحية «أهل الكهف» بالنسبة لى وأنا أقرؤها، بمثابة المصباح الذى يهتك أستار ظلام هذا الفن الغريب .. فن المسرح بين دفتى كتاب أو بمعنى آخر أن توفيق الحكيم اعتبر أن هذا العمل الذى قدمه بين دفتى هذا الكتاب هو من المسرحيات الذهنية التى يتمتع بها القارىء وهو مستلق فوق سريره ، أو فوق كرسيه يتمتع بالحوار والحركة المسرحية عن طريق الكلمة والحوار الذكى .

ومسرحية أهل الكهف ، كما هو معروف ، مستقاة من القرآن الكريم فى سورة «الكهف» وهذه السورة

كانت تتلى قبل صلاة الجمعة كل أسبوع ، وكنت أعيش معها بخيالى ، وكيف أن هناك فتية آمنوا بربهم ،ورفضوا أن يسجدوا لانسان ادعى الألوهية • فحملوا ايمانهم • وهربوا من عالم الطغيان والجبروت ، وأووا الى كهف من الكهوف وناموا نومة قصيرة بالنسبة اليهم • ولكنهم عندما استيقظوا وقد حسبوا انه قد غشيتهم سنة من النوم ، اكتشفوا أن شعورهم قد طالت، ولحاهم قد طالت، وأحسوا بالجوع فطلبوا من أحدهم أن ينزل الى السوق ليشترى لهم خبزا وطعاما • وعندما نزل الى السوق وجد الناس ينظرون اليه ، نظرة استغراب ، ويكتشفوا بعد ذلك أنه قد مرت مئات السنين ، وأن هذا الحاكم الظالم الذى هربوا منه منذ مئات السنين قد مات ، وأن هؤلاء القوم قد آمنوا بما قد آمنوا به منذ سنين • ووجدوا عالما غير العالم الذى كانوا يعيشون فيه • واقتنعوا أخيرا بأن يعودوا الى كهفهم •• ليناموا النومة الكبرى الأبدية •

هذه القصة التى جاءت فى القرآن الكريم والتى تهدف الى أهداف سامية من الايمان ، والاصرار على المبدأ • اتخذ توفيق الحكيم هذه التيمة ، لكى يشيد عليها عملا فنيا أثار انتباه الأدباء والمفكرين فى ذلك الوقت

الذى كان مليئا بعمالقة الادب والفكر فى كل مجال ٠ فكانت شهادة طه حسين له الشهادة الأدبية ٠

فماذا فعل الحكيم فى مسرحيته «أهل الكهف» التى أثارت أيضا المفكرين المقربين ومثلت على مسارح فرنسا أكثر من مرة ، ترجمت الى اللغة الفرنسية ٠

بدأ الحكيم بتصدير الكتاب بآية من سورة الكهف ٠٠ «فضربنا على آذانهم فى الكهف سنين عددا ، ثم بعثناهم لنعلم أى الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا » ٠ استخدم الحكيم نفس أحداث القصة ، ولكن كان يهدف الى أشياء أخرى ٠ فنجد مجموعة من الشخصيات « مشلينيا » وهو أحد الرجلين ، «ومرموس» وهو الرجل الثالث من مجموعة الفتية ، ويمضى الزمن عليهم ، ويطلبون من زميلهم أن يخرج من الكهف ليكتشف ماذا حدث بعد غيابهم ٠

والذى يلفت النظر فى هذه المسرحية ، ذلك الحوار الذكى الممتع بين مشلينيا وبريسكا وهى أميرة القصر تحت «مشلينيا» وهى لا تدرى أن عمره الزمنى ما يقرب من ثلاثمائة سنة مشلينيا يحب بريسكا على أنها خطيبته وحبيبته الأولى التى كان يحبها منذ ثلاثمائة عام ٠ وأن بريسكا الموجودة أمامه هى شبه فقط لبريسكا الحقيقية ٠

ومع ذلك ، وعندما تكتشف (بريسكا) هـذه الحقيقة ، يدور هـذا الحـوار السلس ، البـديع بين بريسـكا ومشلينيا :

مشلينيا : من هذا الرجل ؟

بريسكا : (فى دهشة) أى رجل ؟

مشلينيا : الذى كنت عنده الساعة

بريسكا : لم أكن عند رجل الساعة ! ولئن جاز لك أن تخلط وتهذى ، فليس لك أن تهينني !

مشلينيا : صفحا يا بريسكا ‥ انى وحشى التعبير ‥ وماقصدت اهانة ، لكنه القلق وحب المعرفة ، انى أردت أن أسألك ‥ أين كنت الساعة قبل أن تمرى بهذا البهو ‥

بريسكا : كنت عند أبى

مشيلينيا : (دهشا) أبوك ؟ ‥ كنت تقرأين له الآن وتسامرينه ·

بريسكا : نعم هو أبى ‥ اذا أرق دعانى لأطالع له حتى ينام ‥

مشلينيا : (فى حدة) بريسكا

بريسكا : ماذا دهاك ؟ ولم تحملق فى بعينيك ؟!

مشلينيا : بريسكا .. أتمزحين وتتخابثين .. أم.. أم تريدين خداعى .. أم أنا ..

بريسكا : (فى دهشة) ماذا تقول ؟

مشلينيا :أأناعميت ؟ ان هذا ليس دقيانوس ان هـذا الملك ليس دقيانوس

بريسكا : دقيانوس ؟ .. طبعـــا لا .. ان أبى ليس بدقيانوس ..

مشلينيا : بريسكا .. ألست ابنة دقيانوس ؟ ..

بريسكا : أأنت مجنون ؟ .. أكون ابنة ملك مات منـذ ثلاثماية عام

مشلينيا : (رأسه بين يديه كأنما ينتظر طامة) من أنت اذن ؟.. الهى !.. أكاد أجن .. سأجن ..

بريسكا : تمد يدها اليه فى قلق ، ماذا بك ؟

مشلينيا : ابنة هذا الرجل .. هذا الملك رباه .. كيف يمكن هذا ؟

بريسكا : من كنت تحسبنى اذن ؟.. آه .. (تصبح فجأة

اذ تبرق فى رأسها فكرة) آه ·· نعم ·· نعم ·· ياالهى ·· فهمت ·· فهمت ·

مشلينيا : (رافعا رأسه) ماذا ؟ · ماذا ؟ ·

بريسكا : فهمت · انى لست بريسكا التى تقصدها ·· ياالهى ·· كل هذا الذى قلته لم يكن لى اذن ·· بل للأخرى ··

مشلينيا : لست أفهم ··

بريسكا : أنسيت أن عمرك ثلاثماية عام ؟· أنسيت انك لبثت فى الكهف ثلاثماية عام

مشلينيا : وماذا يهم ؟

بريسكا : (كآبة ومرارة · وكأنما تقول لنفسها : صدقت ·· أنا أيضا نسيت ذلك الساعة !

مشلينيا : بريسكا ·· ماذا تقولين ؟

بريسكا : لأ ·· لا شىء !

مشلينيا : تكلمى بالله ··

بريسكا : (لمشلينيا) انها كانت ابنة دقيانوس ·· دقيانوس الوثنى ·· ولكنها اعتنقت دين المسيح·

مشلينيا : نعم ‥ من أجلى يابريسكا ‥ أليس كذلك؟

بريسكا : اذ كان ذلك من أجلك ؟ ‥ آه ‥ اذن كان
ذلك من أجلك ‥ نعم ‥ نعم ‥ وغلياس يقول
انها قديسة ‥ وان المسيح جاءها فى المنام ‥
وقلدها هذا الصليب الذهبى !

مشلينيا : بل هو صليبى الذى آهديتك اياه يابريسكا
عقب ذهابنا الى البهو آلا تتذكرين !؟ ٠

بريسكا : (متفكرة وكمن تخاطب نفسها) نعم‥ نعم٠
لقد أدركت كل شيء الآن

مشلينيا : (فى رجاء) أدركت الآن يابريسكا ! تذكرت؟

بريسكا : (تلتفت اليه فى قوة ، وتقول فى لهجة قاطعة)
اسمع ‥ آتريد آن تصغى الى مليا ، وتعى
ماأقول ؟‥

مشلينيا : (يلتفت اليها بكل جوارحه) نعم

بريسكا : ان بريسكا دقيانوس : خطيبتك التى تهواها
‥ ماتت منذ ثلاثماية عام

مشلينيا : (بغير فهم) ماتت ؟

بريسكا : نعم ‥ عذراء طاهرة كما تركتها ‥ وقد

حافظت على عهدها المقدس ·· وظلت طوال حياتها تقول ·· انها تنتظر ·· تنتظر ·· تنتظرك أنت بالطبع حتى تعود ·

مشلينيا : (كالمخبول) ماذا أسمع ؟

بريسكا : ولقد وفت بوعدها وانتظرتك حتى أدركها الموت في الخمسين من عمرها ، وقد طلبت في النفس الأخير أن تحمل لتموت في هذا البهو ·· لماذا ؟ أكنتما تتلاقيان هنا ؟ تكلم يا هذا

مشلينيا : (في غير وعى) نعم ·· نعم

بريسكا : الآن وقد عرفت ·· اذهب وابكها ·· انها ولا ريب تنتظر دموعك ·· الوداع ·

مشلينيا : (يتمسك بأذيالها وهى تهم بالانصراف) بريسكا ·· لا تذهبى ·

بريسكا : (في حدة غريبة) قلت لك انى لست بريسكا

مشلينيا : (في توسل) لست أنت ·· !؟ ·· لم هذا يا بريسكا رحماك ·· أتريدنى أن أفقد عقلى ؟

بريسكا : (في حدة) ألم تسمع ما قلت ·· لست بريسكا التى تحبها ·· ماذا تريد منى ؟

مشلينيا : (يحملق كالمجنون) رحمتك يا ربى ، من أنت اذن ؟
انى لست أدرى بعد هل لى رأس فوق كتفى ؟!

بريسكا : (فى تجهم) انى أشبهها ·· ولست اياها ··
أنظر جيدا وليعد اليك عقلك

مشلينيا : (يحملق كمن لا يصدق) : تشبيهينها ؟ ··
تشبهين من يا بريسكا ؟

بريسكا : ولقد سمونى باسمها ·

مشلينيا : (كمن كاد يفهم) رباه !

بريسكا : ألم يخبرك أحد بقصة العراف الذى جاءوا به ساعة ميلادى لينظر طالعى ·

مشلينيا : (كمن يتذكر) العراف ؟!

بريسكا : لقد تنبأ بأنى حينما أكبر ، سأشبه القديسة بريسكا ابنة دقيانوس ·· ولهـذا سمونى باسم بريسكا ·

مشلينيا : العراف ! نعم يخيل الى انى سمعت شيئا كهذا أين ؟ ومتى ؟

بريسكا : أوضحت لعينيك الحقيقة الآن ؟

مشلينيا : (ينظر اليها طويلا) لست اياها !
بريسكا : بلى ٠٠ لست اياها ٠٠ اذهب ! ٠٠ ماذا تنتظر
بعد فى هذا المكان ؟ قلبك لم يسعد هنا ٠

مشلينيا : (وهو لم يزل ينظر اليها) قلبى لم يعد هنا ؟

بريسكا : (تنظر اليه طويلا ثم تقول بصـوت خافت)
الوداع ٠٠ (تنصرف)

مشلينيا : (كمن أصابه خبل يمد يديه نحوها) بريسكا

عزيزتى ٠٠ تعالى ٠٠ انت هى ٠٠ رباه ٠٠ انت
لست اياها ٠٠ لست اياها ٠٠ ومن تكونين اذن ؟٠
انت ؟

أنائم أنا ؟ ٠٠ آحى آنا ؟ آآكون فى حلم مضطرب
مختلط ٠٠ الهى ؟ الهى آيها المسـيح ٠٠ آيهـا الاله
اعطنى عقـلى أرى به ٠٠ أعطنى النـور ، آو اعطنى
الموت ٠٠ اليقظة ٠٠ النوم ٠٠ العقل ٠٠ العقل ٠٠
مرنوس ٠٠ آين انت يا مرنوس ؟ ٠٠ آين نحن ؟ أين
نحن الآن ؟ أحلام الكهف ؟ ٠٠ أهى أحلام الكهف ؟ أنا
فى حقيقة ؟ آأنا فى الكهف ؟ ما هذه الأعمدة ؟ (يتخبط
بين العمد فى البهو) الى يا مرنوس ٠٠ يا يامليخا ٠٠

انا لا نصلح للحياة ٠٠ انا لا نصلح للزمن ٠٠ ليست لنا عقول ٠٠ لا نصلح للحياة ! ٠٠

وعلى هذا المنوال ، استطاع توفيق الحكيم أن يأخذ بلبى وأنا أحاول أن أقرأ له عملا آخر ٠

ولكن مرت الأيام ٠٠ وفى آجازة صيف ١٩٥٢ وكنت أستعد للدخول الى الجامعة ، قرأت كتاب «يوميات نائب فى الأرياف » وكانت هذه هى الخطوة الثانية التى التقى فيها مع توفيق الحكيم فى كتابه الروائى القصصى الساخر ، ومع الحوار الشيق ، وحمار الحكيم ، والصور الرقيقة لعالم الريف عاش توفيق الحكيم فترة من حياته عندما كان وكيلا للنائب العام ، يحقق ، ويعالج القضايا باحثا عن القاتل وراء الجريمة ٠٠ ويقول كلمته المشهورة عندما تحدث آية جريمة « فتش عن المرأة » لتقبض على القاتل ٠

أعجبت بكتاب الحكيم ، وتمنيت فى ذلك الوقت أن أدخل كلية الحقوق لأتخرج وكيلا للنائب العام حيث أستطيع أن ألتقى بقاع المجتمع المصرى ، وبشخصيات كثيرة ٠ ربما أستطيع أن أستخلص منها قصصا وحكايات كما فعل الأديب الكبير توفيق الحكيم ٠

وتغير مجرى حياتي عندما ظهرت نتيجة الثانوية العامة وكنت طالبا بشعبة علمى لكى آدخل كلية الطب، لكن الظروف حالت دون ذلك • فتحولت رغبتي حسب أوراق مكتب التنسيق الى كلية الزراعة ، ورفضت أن أدخل هذه الكلية ، فذهبت الى كلية الحقوق ، ولـكن والدى رحمه الله ، أقنعنى بأن كلية الآداب هى أفضل مكان لى ، خاصة وانني كنت أصدر المجلات المدرسية ، فدخلت كلية الآداب قسم اللغة الانجليزية وفى السنة الأولى من الجامعة ، التقيت مع توفيق الحكيم مرة أخرى فى كتابه «فن الأدب» لندرس مشاكل الأدب، ومستقبله، فى دراسة علمية متأنية • وهذا الاعجاب الذى ربطنى بتوفيق الحكيم جعلنى أهرع لأقرأ له كتاب آخر ، هـو « ذكريات القضاء والفن » • وهو عبـارة عن صـور ممتعة ، ساخرة ، للقضـاة فى الـريف المصرى وكيف يعالجون القضايا والمـواقف الحرجة التى يتعرضـون اليها ، والمواقف المضحكة • وآتذكر صورة « الطاجن وصل » عندما كان الحكيم ممثلا للنيـابة ، وكان عـلى علاقة مع القضاة وكانوا فى مكان ناء عن احدى القرى وكانوا قد اتفقوا على آن يأتى طاجن الطعام من مكان بعيد ، واتفقوا أيضا على اشارة معينة بينهم وبين حاجب الجلسة ، لكى يخبرهم بأن الطاجن قد وصل •

ويصور توفيق الحكيم بأسلوبه التهكمى الساخر كيف كانت جلسة المحكمة ساخنة ، والمداولة شديد ، وعنيفة ، وصراع دائر بين المحامين والقضاة ، وممثل النيابة • وعندما صدرت اشارة من الحاجب هامسا •• بأن الطاجن وصل « حدثت بلبلة بين القضاة وبين ممثل النيابة لكى تنتهى الجلسة ، حتى لا يبرد الطعام فى الطاجن الذى ينتظرهم فى الغرفة الخلفية • وكيف يصور لنا الحكيم فى صورة ممتعة ضاحكة ، كيف أنهى القاضى الجلسة قائلا : « رفعت الجلسة للتداول » ، لكى يذهبوا ، ويلتهموا ، الطعام •

ان توفيق الحكيم فى هذه الصور البسيطة ، اللاذعة، يكشف لنا ، خبايا الانسان العادى • الانسان الذى وضعت الأقدار فى يديه ، مصائر الآخرين فى الحكم عليهم نتيجة لما ارتكبوه من أفعال ، ولكن المعدة لها أيضا احكام وشروط ، وتتحكم فى القرائن وكيف أن هذه القرائن تتحكم فى العقل فى بعض الأحيان• فهو يصور لنا فى هذه الصور الكاريكاتيرية نوعا من النفوس البشرية اذا وضعت فى موقف من المواقف الحرجة ، فبالرغم من أن القضاة وضعت الأقدار فى يديهم مصائر الآخرين ، الا آن المعدة هى الأخرى لها مطالب،

وشروط وهي تجبرهم على أن لها موعدا ، كما أن موعد الطاجن قد وصل · فتقف كل الأمور من أجل آن يلتهم الانسان لقمة من لقيمات الطاجن ·

هذا اللقاء في ذكريات القضاء والفن ، وكتاب « فن الأدب » الذى درسته ، دراسة متأنية وكنا مكلفين ونحن فى الجامعة باعداد بعض الدراسات النقدية والتعليقات على الفصول التى تناولها توفيق الحكيم ، الذى كان يرى أن الأدب هو الكاشف الحافظ للقيم الثابتة فى الانسان والأمة ، الحامل الناقل لمفاتيح الوعى فى شخصية الأمة والانسان ، تلك الشخصية التى تتصل فيها حلقات الماضى والحاضر والمستقبل ، والفن هو المطية الحية السوية التى تحمل الأدب خلال الزمان والمكان · والأدب بغير فن ، رسول بغير جواد فى رحلة الخلود · والفن بغير أدب ، مطية سائبة بغير حمل ولا هدف ولقد كان هم الحكيم دائما ، محاولة الجمع بين الرسول وجواده ، ولهذا رأى ان الأدب والفن ممتزجان دائما ·

وأنى أتذكر عندما أعددت بحثا عن هذا الكتاب ، اخترت الفصل الخامس بـ « الأدب والصحافة » ويكاد يكون هذا الفصل عالقا بذهنى حتى هذه اللحظة ، اذ كان

يكتب بعض الكلمات فى بداية كل فصل ، ففى هذا الفصل بالذات ، وضع كلمة ٠٠ هى حوار بين أديب وصحفى الصحفى يقول للأديب : اننى أكتب ليقرأنى أهل زمانى ! فيقول له الأديب : اما أنا فأكتب لتعاد قراءتى فى كل زمان !

أما الكتاب الذى ربطنى وجدانيا بتوفيق الحكيم فهو « عودة الروح » ٠ فقد تعلمت أيام الاحتلال الانجليزى ، خلال الحرب العالمية الثانية ، ثم عشت فترة حكم الأحزاب ، والصراع العنيف الدائم بينهم للوصول الى السلطة ، مستغلين طيبة هذا الشعب، وكيف كان المستعمر الانجليزى يذكى نيران الفتنة والحقد بين الأحزاب لتلهو فى صراعاتهم ، تاركين الغاصب يجثم على أنفاس مصر ٠

ان رواية « عودة الروح » لتوفيق الحكيم التى عالج فيها موضوعا أساسيا هاما فى تلك الفترة ٠٠ هى شخصية « مصر » ٠ واذا كان الحكيم كما يقول النقاد قد كتب هذه الرواية عام ١٩٢٧ ، ولم تظهر فى كتاب الا سنة ١٩٣٣ ، وكانت هذه الحقبة من القرن العشرين ٠٠ أى الربع الأول من هذا القرن ٠٠ كانت مليئة بالتفكير فى مصر ، والحديث عنها ٠ فالروح القومية

فى تلك الفترة اشتعلت بعنف ، بعد آن أشعلها مصطفى كامل ، بخطبه المليئة بالحب الرومانسى الملتهب تجاه مصر • وظهرت ترجمات حية لهذه الموجة العارمة فى حب مصر •• فى ألحان سيد درويش ، وأغانيه التى ترددت خلال ثورة ١٩١٩ والتى كنا ونحن طلبة نرددها فى اضراباتنا عام ١٩٥١ ، وبدايات ١٩٥٢ قبل قيام ثورة ٢٦ يوليو ١٩٥٢ • وخاصة نشيد « بلادى بلادى لك حبى وفؤادى » •

ويتضح من القاء النظرة الأولى على تيارات الربع الأول من هذا القرن ، ان التيار الكبير الهام فى تلك الفترة هو بعث الروح القومية فى مصر ، وذلك عن طريق ابراز كيان الشخصية المصرية ، وتحديد ملامحها، لكى تواجه كل مخططات المستعمر الذى يهدف الى طمث الشخصية المصرية ، ومحوها ، فماذا كان يهدف توفيق الحكيم من روايته « عودة الروح » التى ساهم بها ، فى تدعيم التيار الجارف نحو حب مصر، ورفع كرامتها، وتأكيد شخصيتها •• مستمدا من الأفكار الدينية عند المصريين القدماء • ويرى بعض النقاد آن « عودة الروح » هى محاولة اكتشاف مصر اكتشافا « دينيا وروحيا » قبل أى شىء آخر • ففى تراتيل كتاب

الموتى ، نجد ما يتصل بقصة الانسان فى هذا العالم ٠٠ قصة موته ، ثم بعثه بعد ذلك ، فالروح عند المصريين ، خالدة لا تموت ، بل لقد وضع الحكيم عنوان الرواية جزء فى نشيد الموتى عند المصريين ، وهو الجزء الذى يقول :

« عندما يصير الزمن الى خلود ،
سوف نراك من جديد
حيث الكل فى واحد » ٠

حقا ٠٠ لقد استمد الحكيم من الواقع الذى يدور حوله احساسا قويا بأن مصر ستعود الى الحياة بعد أن أصابها نوع من الموت المؤقت على يد الاحتلال البريطانى ، ولكنه وجد التعبير عن هذه العودة الى الحياة ، والثقة فى ضرورة هذه العودة ثقة مطلقة ، والايمان بخلود مصر ٠ وجد التعبير عن هذا كله فى التجربة الدينية عند الفراعنة ، فى نظرتهم الروحية الى الحياة ٠٠ كانوا مؤمنين ان كل شىء فى هذا العالم يتجدد ٠٠ ان الفيضان يختفى ثم يعود ، وبعد الحصاد تعود الثمار الى الأرض ، واوزوريس اله الخصب ، تمزق جسده ، ثم تكامل من جديد وعاد الى الحياة ، الانسان اذا مات عاد مرة أخرى الى الحياة ، فعودة الروح هى الفكرة

الأساسية عند المصريين القدماء · ومن قلب هذه الفكرة خرج توفيق الحكيم برؤيتيه الدينية والروحية ، رغم كل المظاهر التى كانت تبدو قبيل ١٩١٩ ، والتى كانت تقول عمن لا يملكون تلك الرؤية الدينية التى يملكها الحكيم ·· ان مصر ميتة . وتحتاج الى وقت طويل لكى تستيقظ بل وقد لا تستيقظ ·

واذا كان الحكيم فى (عود الروح) يركز على رؤيته الدينية من خلال التاريخ المصرى القديم ، الا أننا نراه فى « عصفور من الشرق » يلتفت الى التراث الشرقى كله ، فمصر هى جزء من حضارة روحية أشمل ، هى الحضارة الشرقية بأديانها الكبرى · وقد أهدى الحكيم فى مقدمته لعصفور من الشرق كتابه بتلك الكلمات الى : «حاميتى الطاهرة السيدة زينب» ·

وكلنا نعلم ان السيدة زينب فى عودة الروح ، هى البيئة التى يعيش فيها أبطال الرواية ويستظلون بظلها الروحى ، وكذلك فان « محسن » فى (عصفور من الشرق) يتذكر السيدة زينب فى باريس ، وهو يدخل احدى الكنائس ولا يخفى عن الكثيرين ان الحكيم قد أسمى أبنته الوحيدة باسم « زينب » استجابة لهذه المحبة العميقة فى نفسه للسيدة زينب ، ولما ترمز اليه

من قوة روحية بالنسبة للحكيم ، وبالنسبة للشعب المصرى كله • ان المعبد المصرى القديم يتحول تدريجيا فى وجدان الحكيم الى مقام السيدة ، ويمتزجان معا لينسجا هذه الرؤية الدينية الصافية عند توفيق الحكيم فى نظرته الى مصر • بل وفى نظرته للحياة ، والعالم من خلال مصر •

كانت مصر تغلى منذ نكبة ٤٨ ، أو مأساة فلسطين وحصار الجيش المصرى فى « الفالوجة » و• وكنت أعايش تلك الأحداث وأنا طالب فى الثانوية ، ويذوب فؤادى حزنا على ما وصلت اليه من تدهور ، واضمحلال، وكنا نخرج فى المظاهرات هاتفين بسقوط الملك والانجليز ، وكان البوليس يمطرنا بالرصاص ، فنهرع الى مدارسنا نحتمى بها ، فيهجم البوليس على المدارس ويقبض على الطلبة للتنكيل بهم ، ويحاول باقى الطلبة الهرب الى بيوتهم، وتغلق المدارس ، وتتعطل الدراسة •

فى هذا الجو المكفهر ، كنت أهرع الى الكتب الوطنية ، والأدبية ، والى قصص البطولات • وأطالع قصص الفدائيين ومعاركهم مع الانجليز فى منطقة القنال • الى أن وقعت مأساة مذبحة الاسماعيلية وبطولة رجال البوليس عندما حاصرتهم الدبابات الانجليزية ،

وطلبت اليهم تسـليم آسلحتهم ، فرفضـوا الاسـتلام ، واشتعلت الثورة فى قلوب المصريين ، الى آن فوجئنـا بحريق القاهرة فى يناير ٥٢ ٠ ثم قيام ثورة الضباط الأحـرار فى ٢٦ يوليـو ١٩٥٢ ٠ وكانت معـاودتى لقراءة « عودة الروح » تثير فى نفسى الكثير من الآمال وهى أن مصر لن تموت ٠٠ وان الروح عائدة اليهـا حتما ٠ وقد تجلى ذلك بوضوح أيام العدوان الثلاثى على مصر من انجلترا وفرنسا واسرائيل ٠ وكنت فى ذلك الوقت بالاسكندرية آرى الناس يملأون الشوارع رغم انطلاق صـفارات الانذار ، غير عابئين بالمـوت ٠٠ والطائرات الانجليزية تحـاول ضرب الاسـكندرية ٠ والمدافع المضادة ، تسقط منها العـديد ٠٠ والنـاس مكتظون فى الشوارع يهتفون « تحيا مصر » ٠٠ «تحيا مصر » ولا يحفلون بأى مخاطر أو مهالك تحيط بهم ٠ وانتصرت مصر ، وانشغلت بدراستى الجامعية ٠

هـذه كانت بعض خطـواتى الأولى مـع تـوفيق الحـكيم ٠٠ فى كتبـه الأولى دون آن آلتقى بـه ٠ وفى السـنة الأولى من الجـامعة كان مقـررا علينـا رواية « سـلوى فى مهب الـريح » للـروائى الـكبير الراحل محمود تيمور ٠ وقد طلب منا اعداد دراسـة

نقـدية عن هـذه الرواية • وقدمت بحثى النقـدى • وحصلت على تقدير ممتاز • وحاول بعض أصـدقائى وزملائى أن يحصلوا منى على هذا البحث . فخطر فى بالى أن أطبعه فى كتيب صغير • وتعاون الزملاء معى، ودفعوا تكاليف الطباعة ، وصدر هـذا الكتيب ، يضم الدراسة النقدية التى كتبتها ، وتشاء الصدف أن أعثر على عنوان محمود تيمور فى احدى كتب المراجع التى كنت أقرؤها • فأرسلت نسخة الى الأستاذ محمود تيمور •

ومرت الأيام ، ونسيت ما فعلت • وفجأة • ذات يوم بعد مرور شهر ، فوجئت بساعى البريد يحمل الى طردا ، وخطابات • وكان الطرد يحتوى على ثلاثة كتب أصدرها الأديب الكبير محمود تيمور • وعلى كل نسخة منها اهداء بخطه يشكرنى على هذه الدراسة الاكاديمية ومنذ تلك اللحظة استمرت المراسلات بينى وبين الأديب الكبير محمود تيمور لمدة عام ، حتى تلقيت منه رسالة فى صيف ٥٨، يدعونى فيها الى لقاء فى مقهى «تريانو» لتناول الشاى • وذهبت الى اللقاء • فوجدت مجموعة من أدباء الاسكندرية ، وعلمت أن محمود تيمور يعقد ندوة كل أسبوع فى هذه المقهى ، يدعو فيها أصدقاءه من أدباء الاسكندرية • واستمرت علاقتى بالأديب الكبير

محمود تيمور منذ تلك الفترة ، الى أن وافته المنية فى أغسطس ١٩٧٣ ·· بعد آن أصدرت عنه دراستين كبيرتين عن الأقصوصة والرواية عند تيمور واتخذت منه أبا روحيا في عالم الأدب · ثم أصدرت بعد وفاته كتابا كبيرا بعنوان « عالم تيمور » ·

وتخرجت من الجامعة ، وأصدرت بعد ذلك أول كتاب لى عن « تيمور وفن الأقصوصة العربية » ، وكان عمرى سبعة وعشرين عاما وأحدث الكتاب صدى كبيرا فى الأوساط الادبية فى القاهرة والاسكندرية ، وكنت التقى به أيضا فى كازينو (بترو) بسيدى بشر ـ والذى أصبح الآن آثرا بعد آن تم هدمه ـ حيث كان الحكيم يعقد ندوته ، والسبب فى تغيير ندوة تيمور من مقهى « تريانو » الى « بترو » ان تيمور قد وجد شقة بجوار (بترو) ·

وكنت ألتقى معه ، وعندئذ التقيت لأول مرة وجها لوجه مع توفيق الحكيم · وكنت فى ذلك الوقت أعمل صحفيا بأخبار اليوم بالاسكندرية ، ونشرت بعض الآحاديث عن ندوة الحكيم · وتوثقت بيننا العلاقة · وكثرت اللقاءات · وكنت آجلس فى هذه الجامعة التى تضم محمود تيمور ، وتوفيق الحكيم ، والدكتور حسين

فوزى ، ونجيب محفوظ ، وكان يحضرها عدد كبير من كبار الصحفيين والأدباء منهم عبد الرحمن الشرقاوى وأحمد بهاء الدين ، ثروت أباظة ، وغيرهم ٠

ومرت الأيام ، وانتقلت الى القاهرة ، وكنت أعمل مديرا لتحرير الملحق الأدبى ٠٠ للاخبـار عام ١٩٧٠ ونشرت بعض الصور الأدبية لندوة « بترو » ٠ ومنـذ تلك اللحظة توثقت العلاقة بينى وبين أديبنا الـكبير توفيق الحكيم ، فأعددت عنه برنامجا اذاعيا ، وحلقة خاصة من برنامجى « أدباؤنا والحب » ٠

والذى لاحظته خلال لقاءاتى مع الحكيم ، انه مثل الأصداف النادرة ، والقواقعالبحرية النادرة ٠ لا يخرج من قوقعته ، أو لا يثق بانسان الا بعـد أن يمر أمامه بعدة اختبارات وامتحانات خاصـة ، يضعها الحـكيم بنفسه ودون أن يدرى الشـخص الذى أمامه بذلك ٠ وعندما يجتاز المرء هذه الاختبارات ، يبدأ الحكيم فى أن تعود اليه طبيعته مثل القوقع تماما ، لا يخرج من قوقعته الا اذا أحس بالطمأنينة ، وبأن لا يكون هناك أى شائبة فى الخارج ٠ واذا أحس بالخطر، فانه ينكمش فورا ، ويتقوقع داخل قوقعته ٠ لقد شعرت ، وأحسست بنفسية توفيق الحكيم الحذرة ، وبأنه لا يفتح صدره أمام

الآخرين الا اذا اطمأن الى شخصية الذى يتحدث معه ·
والحمد لله لقد نلت وحزت هذه الثقة من الحكيم بعد
أن نجحت فى تلك الاختبارات السرية التى كان يعقدها
بينه وبين نفسه عنى ·

ولا يسعنى فى ختـام كلمات هـذه الخطوات التى
عشتها مع الحكيم خلال خمسة وعشرين عاما ·· الا أن
أقدم هذه الكلمات ·· تعبيرا ·· وتحية ·· للشمعة
التى أطفأها توفيق الحكيم فى عيد ميلاده السادس
والثمانين ·· بعد رحلة مشوار العمر ·· ورحلة
خطواته فى هذا العالم الحسى والمادى ، وخطواته فى
عالم الفكر ·· والأدب ·· والفن ·· مع الكلمات ··
مع الحب ·· مع الانسان !!

الميريلاند ٣ أغسطس ١٩٨٦

فتحى الابيارى

عشرة آلاف خطوة مع الحكيم:

أين هو الآن ٠٠ صاحب « أهل الكهف » ٠٠ كيف ينظر الآن الى حياتنا بعد مرور ٤٢ عاما على مسرحيته التى كانت سبب شهرته ٠٠ والتى نشرت لأول مرة فى ديسمبر سنة ١٩٣٣ ٠ والتى مثلتها الفرقة القوميـة وافتتحت بها موسمها الأول فى ديسمبر سنة ١٩٣٥ ٠ أين توفيق الحكيم الآن ٠٠ وكيف ينظر الى عالمنا ٠٠ والى أيامنا هذه ؟ ما هو شعوره الآن عندما يخرج من من كهفه ٠٠ تماما كما فعل أهل الكهف ٠٠ وخرجوا من كهفهم ٠٠ ليسـتطلعوا أحـوال دنيـاهم ٠٠ وهم لا يدرون انهم قد ناموا آلاف السنين ٠

وبدأت أبحث عن الحكيم ٠٠ ورصدت حركاته ٠٠ متى يخرج من الجريدة ٠٠ والى آين يذهب ٠٠ وأين كهفه ٠٠ أقصـد بيتـه ٠٠ وعلمت آنه يرفض الادلاء بالأحاديث وخاصة الصحفية ٠٠ فقـد سئم الحـديث

المكرر ، حتى أنه لم يقل كلمة واحدة عن صوت الحب ·· أم كلثوم ·· وكل الناس قد تحدثوا عنها وما زالوا يتحدثون ·· فقد صمت الحكيم ·· وانزوى فى كهفه ·· وآثرت أن آمر بتجربة جديدة من الحكيم ·· أى أقوم برحلة معه ·· خلال رحلته اليومية سيرا على الأقدام ·· من كهفه ·· الى الكورنيش ·· والشوارع ·· ومغامراته مع المواصلات ·· واجتياز مناطق الخطر فى الطريق العام ·· وتربصت له مع الزميل المصور فاروق ابراهيم ·· بأحدث آلاته فى التصوير من مسافات بعيدة ·· وكانت هذه نتيجة رحلة العشرة آلاف خطوة مع توفيق الحكيم ·· صاحب أهل الكهف بين الناس فى الشوارع ··

كثيرون من الصحفيين والنقاد ·· والكتاب قد كتبوا عن توفيق الحكيم ·· وسألوه مئات الأسئلة ·· فما الجديد الذى يمكن أن يقوله الآن ·· تحدث عن قصة حياته بعد أن وجد كثيرا من الباحثين يجاهدون فى استخلاص ملامح شخصيته من خلال المسرحيات والقصص التى كتبها ، فما كان منه الا أن وفر عليهم هذا الجهد وأصدر كتابين « زهرة العمر » و « سجن العمر » حكى فيهما ما يريد أن يقوله هو عن حياته

بأسلوب معين ٠٠ أجاب الحكيم عن كل الأسئلة الصحفية التى يمكن أن يفكر فيها جهابذة الصحفيين أجاب عن ماهية الأدب ، والمسرح ولماذا اتجه الى المسرح ، وهل الأدب يتنبأ بالمستقبل ، أم أنه يسجل الواقع ، وتجاربه الجديدة فى عالم المسرح ، وذكرياته الأدبية والفنية ٠٠ وكيف قبض عليه خلال ثورة ١٩١٩ ، واعتقل فى القلعة هو وأعمامه بتهمة التآمر ، ولم يفرج عنهم الا بعد الافراج عن سعد زغلول الذى كان معتقلا فى جبل طارق ٠٠ وتحدث عن ذكرياته فى الطفولة ٠٠ مع الأسطى « حميدة » ٠٠ والعوالم وحكايات الشباب ٠٠ ومغامراته العاطفية ، وكيف كان ينظم الشعر والزجل ، ويتردد على شارع محمد على ، وعماد الدين ٠٠ حيث أهل الفن ٠٠ وعالمهم الغريب والغانيات أيضا ٠

وأجاب عن قصص فشله فى حياته ٠٠ أيام الدراسة وكيف سقط سقوطا مريعا فى احدى السنوات ٠٠ حتى عندما سافر الى باريس ٠٠ للحصول على الدكتوراه فى القانون ٠٠ فشل ٠٠ وخسرت الدراسة الأكاديمية طالبا ٠٠ وكسبت مصر ٠٠ أكبر مفكر فنان ٠٠ انه توفيق الحكيم ٠

وأصبح الحكيم صيدا ثمينا لكل صحفى ، ومجلة ،

وجريدة تريد أن تقدم جديدا لقرائها ، لما يتسم به من ذكاء لماح ، وخبث وراثى من والده • ففي شخصية الحكيم ثمرة صراع بين أمه وأبيه •• أمه كانت غنية وأبوه كان بسيطا • كان وكيل نيابة يتقاضى عشرة جنيهات شهريا • وعندما تم الزواج بين النقيضين •• دار الصراع بين الشخصيتين •• وورث الحكيم عن والدته خيرها وشرها •• فقد كانت رحمها الله ــ لقد ماتت أم الحكيم منذ أسابيع فقط قرب وفاة أم كلثوم بأيام ــ طيبة القلب ، ولكن فيها روح شر ، غير أنها لا تعرف الخبث ، فهى صريحة •• صراحة متحدية أحيانا • ولا تطيق أن تخفى فى صدرها شيئا • أما والده فكان طيبا نادر الشر ، لكنه كثير الخبث ، وقليل الصراحة • وقد ورث الحكيم من كل هذا بنسب متفاوتة • ونسى الحكيم أن يعلل سبب شهرة بخله •• وفنجان قهوته الشهير الذى لا يقدمه لأحد • وربما يرجع هذا البخل الى أمه •• وكذلك •• فهو يرجع أسباب اهتمامه بالمسرح •• الى البخل • لأن المسرح بخيل •• مقتصد فى الكلمات •• والحركة ، والوقت •• وكل شىء بحساب •• متعادل • وهذه النظرة فى شخصية الحكيم جعلته يصدر كتابه : « التعادلية » حتى

عندما تزوج ·· فقد وهبه الله «اسماعيل» و «زينب» ·· ذكر وأنثى ·

أول خطـوة :

قالوا ان رحلة الألف ميل ·· تبدأ بخطوة · ووقفت أمام كورنيش النيل ·· فى الصباح المبـكر ·· وكان الجو باردا ·· والضباب شديدا ·· حتى مياه النيـل كان لونها غريبا ·· نتيجة للسيول التى حدثت مؤخرا · ووقفت طويلا ·· وأطراف أصابعى تكاد تتجمد ·· بالرغم من البالطو الذى أرتديه · ومرت ساعتان ·· حتى كدت أن أيأس فربما دفع هذا الجو الغريب الحكيم الى أن يحبس نفسه فى الكهف ·· خشية على صحته · وأخيرا ·· وكانت الساعة العاشرة والنصف ·· رأيت الحكيم قادما ·· بقامتـه المديدة ، وعصـاه التى كان يحمى بها « البيريه » من آن يطير من شـدة الهواء وقد ارتدى بالطو ثقيلا · كان يسـير بجـوار الكورنيش متأملا ·· خطواته بطيئة ·· والناس من حوله تشغلهم همومهم ·· والسيارات تمرق فى الشوارع ·· كالسهم ·· أما زميلى ·· فقد اتخذ موقعـه الاستراتيجى ·· وبدأ يسجل كل خطوة للحكيم ·· وبقيت فى مكانى الى أن يقترب منى ويبدأ اللقاء به كأنه مصادفة ·

وسلمت عليه ·· وحييته تحية الصباح · ورد التحية ·· وسألنى عن سبب غيابى مدة طويلة · · وسرت الى جواره ·· وتحدثنا عن الجو المتقلب ·· وسرت صامتا ·· وهو يتأمل السماء ·· وكأنه يخشى أن تمطر ·· وفجأة رأيته يقترب من رجل كان يحمل قفة كبيرة ·· وسأله :

ـ هل معك سمك بلطى ؟

ـ ياريت يابيه ·· التيار جامد فى النيل ·· والميه معكرة ··

واقترب الحكيم من الكورنيش ليطل على النيل ·· فرأى قاربا به صياد يجذب الشباك وآخر يجدف ·· ووقف الحكيم لحظات ·· وأنا بجواره صامت ·· أرقب نظراته المتلهفة الى الصياد ·· وهو يجذب اليه الشباك ولا شىء بها ·· وأخيرا ·· جذب كل الشباك الا سمكة واحدة ·· قال الحكيم :

ـ يا سلام على الصبر ·· لولا الصبر والايمان بما يهبه الله اليه ·· لما استمر فى عمله ·· آنظر انه سيرمى الشباك مرة أخرى ·· فى مكان آخر ·· انه

الاصرار ·· هذا من أهم ملامح ابن مصر ·· الصبر · والاصرار ·· والباقى على الله لا أن ننام ·

قلت : ولكنهم فى الخارج يخطئون ·· ويفسرون الصبر ·· استسلاما ··

قال الحكيم مبتسما : دعهم يظنون الخطأ ·· لنفوز فى النهاية بما نريد ·· وهذا هو أيضا سر انتصارنا فى أكتوبر ··

معجزة القرشين :

سرنا ·· الحكيم وأنا ·· وكنت أتعمد أن أبتعد قليلا عن الحكيم ·· حتى يتمكن زميلى المختبىء فى مكانه البعيد من تصوير حركات الحكيم ·· دون أن يشعر وراه أحد الشبان الذى كان يذاكر دروسه ، فترك كل شىء ·· واقترب من الحكيم ·· وحياه ·· فسلم عليه الحكيم بحنان الأب ·· واستمر فى خطواته الوئيدة ، متكئا على عصاه ومر من تحت كوبرى قصر النيل ·· حتى اقتربنا من (الهيلتون) ·· وبجوار سور الكورنيش ، رقد رجل عجوز أسود البشرة ، على الأرض ، وقد وضع رأسه بين ذراعيه ·· ووقف الحكيم بجواره · وأخرج حافظة نقوده الصغيرة ·· المليئة بالقروش

« الفكة » وراح (يدعبس) فيها باصبعه ‥ ووقفت أختلس النظر الى القروش ‥ ولم أصــدق عينى ‥ ماذا أرى أمامى ‥ الحكيم ‥ يفعل هــذا ‥ أخــذ قرشين ولمس الرجل شبه النائم ‥ الذى رفع رأسه ‥ ونظر الى الحكيم مندهشا ‥ ووضع الحكيم القرشــين فى يد الرجــل ‥ وتركه واقترب منى قائلا : وكأنه يفسر لى ما فعله من لحظــات ولعله قد لاحظ عــلامات الدهشة مرتسمة على قسمات وجهى ‥ والابتســامة مرتسمة على شفتى ‥ هل هذه تمثيلية قام بها الحكيم أمامى لكى أرويها للآخرين ‥ وأكتب عنها ‥

ـ غريبة ‥ كل يــوم أمر على هــذا الرجــل ‥ و لاأعطيه شيئا ‥ لماذا أعطيه الآن ‥ انه رجل عفيف ‥ لا يمد يديه أبدا ‥ مسكين ‥ بحثت له عن شلن ‥ فلم أجد .

هل معك شلن ؟ .

وقدمت الشلن للحكيم الذى أعطاه للفقير ‥ ثم قال لى :

ـ لك ثواب ‥ ولى أيضا .

قلت : كنت أخشى أن تعطيه قطعة نقــود من أيام أهل الكهف ‥ وضحك الحكيم ‥ وظل يدق الأرض

بعصاه ·· وهو يسير الهوينا · وسألنى الى أين سأذهب ·· فأخبرته ·· انه يسعدنى أن أسير معه حتى الجريدة ·· فهذا هو أيضا نفس طريقى ·· وخشيت أن يكشف شيئا ·· ورأيت الحكيم يتجه الى سور الكورنيش ·· يتأمل لون مياه النيل المتغيرة ·· ووقفت مدة ·· وكأنه يستريح قليلا من المشى ·· ورأيت الحكيم وهو يلمح أحد الجالسين على الكورنيش وكان معه مجلة بها صورة كبيرة عن أم كلثوم ·· وانتهزتها فرصة ·

أم كلثوم والنيل :

فقلت للحكيم ·· لقد عاصرت منيرة المهدية ·· هل كانت تتمتع بنفس الشهرة التى تمتعت بها أم كلثوم ·· أم أن الظروف تختلف ·· ؟

قال الحكيم : لقد عاصرت منيرة المهدية ·· وأتذكر أنها كانت تحيى حفلة طرب بعد انتهاء تمثيل مسرحيتى « العريس » فى مسرح الأزبكية عام ١٩٢٤ ، وأتذكر أنهم طلبوا منها أن تشترك فى المسرحية ، خاصة أن نهاية المسرحية فيها زفة عريس وعروسة ، وهى تقدم حفلتها بعد انتهاء العرض المسرحى ·· فرفضت ·

وكانت منيرة المهدية نجمة الأوبريت، ولها أوسريتات

من تأليف الشيخ يونس القاضى ، وتلحين كامل الخلعى .. أما أم كلثوم فقد انقطعت للتخت فقط .

قلت : هل كان هذا سببا فى عظمتها .. وسكت الحكيم لحظات يستلهم من الماضى البعيد الاجابة .. وكان مازال راميا ببصره الى النيل .. وقال :

ـ عندما بدأ نجم أم كلثوم يظهر .. كان المسرح الغنائى فى طريقه الى الأفول .. لأن السينما قد بدأت تظهر .. وعندما ظهرت السينما الناطقة ، كانت منيرة المهدية قد تقدمت فى السن ، ولم يكن لها أى نشاط .

ظهور أم كلثوم :

وتابع توفيق الحكيم حديثه الشائق ، ملقيا أضواء جديدة على مرحلة فنية هامة مرت بحياتنا قائلا :

ولذلك عندما خلا المسرح الغنائى من منيرةالمهدية، وظهرت السينما الصامتة أولا ، أصبح الميدان خاليا من الغناء والطرب الا فى ميدان واحد .. هو .. التخت.

ولذلك بمجرد ظهور أم كلثوم بصوتها النادر وجدت الميدان خاليا تماما من أى نوع منافس .. واستطاعت أن تتألق بدون عقبات .

قلت : متى عرفتها ؟

وبدأ الحكيم يخطو من جديد ، وسرت معه خطــوة خطوة على الكورنيش ، والهواء الشديد يداعب أطراف بالطو الحكيم .. وبين الحين والحين يضع يده اليسرى على البيريه ليثبته .. وقال حكايته عن أم كلثوم لأول مرة .. فقد رفض الحكيم أن يتحدث لأى صحفى عن أم كلثوم بعد وفاتها .. وسكت لتسجل آذناى كلمات الحكيم .. عن صوت الحب .. عن أم كلثوم ..

ـ عرفتها .. معرفة وثيقة أيام أخبار اليوم .. فى الأربعينات عندما كنت أكتب فى أخبار اليوم .. وكانت هى عــلى صــلة وثيقة بمصطفى وعلى أمين . وكانت كثيرة التردد على أخبار اليــوم وبالطبع كانت ترانى وأراها هناك . أما قبل ذلك فقد كنت بعيدا عن مجال معرفتها الشخصية .

قلت : ومتى استمعت اليها وهى تغنى ؟

فقال الحكيم : لم أستمع الى أم كلثوم شخصيا الا مرة واحدة فى أول عهدها بالغناء فى كازينو البوسفور فى ميدان باب الحديد . وكانت مع تختها القديم المكون تكوينا بدائيا ، وأذكر انها كانت بالعقال العربى ، وأن والدها كان بجوارها لا يبارحها .. وكان ذلك حوالى عام ١٩٢٥ .. وكانت أم كلثوم فتاةجميلة الصوت ..

وكانت أعمالها هى قصائد تؤديها أداء جيدا ٠٠ ولكننى لم أتابع نشاطها لأننى كنت مسافرا الى فرنسا ٠

ولما عدت سمعت بعض اسطوانات لها ٠ ولكن ليس بصفة متصلة ٠٠ ثم فى أواخر أيامها كانت تطربنى عندما كانت تغنى ألحان زكريا أحمد ٠٠ ثم عبدالوهاب بعد ذلك فقط ٠٠

من بعد ٠٠ أم كلثوم :

قلت لتوفيق الحكيم وقد أثارت الذكريات انفعالاته يقولون ٠٠ ويتحـدثون الآن ٠٠ عن من من المطربات تستطيع أن تخلف أم كلثوم ٠٠ ما رأيك ؟

وقال : من الخطأ القول بأن فلانا يخلف فلانا ٠٠ لأن كل فنان هـو نبت وزرع فى أرض وجـو ، وبيئة تختلف تمام الاختلاف عن الظروف التى ينشأ فيها فنان آخر ٠

والظروف التى جعلت أم كلثوم ٠٠ هى أم كلثوم ٠٠ لم تتوافر لظروف فنانة أخرى ٠٠ أو فنان آخر ٠٠ لأن الجو الاجتماعى والفنى دائم التغير والتطـور من حال الى حال حسب تغييرات العصر الذى نعيش فيه ، ونحن لا نستطيع التنبؤ بما سيحدث غدا من تغييرات ، ولذلك فان فنان المستقبل ٠٠ أو فنانة المسـتقبل ٠٠

سيتحكم فى لونه وموهبته ظـروف جديدة ·· لم تدر بعد ·· ما هى ؟

ولكنها على كل حال لا يمـكن أن تتـكرر بنفس الطريقة والظروف التى كانت لها الفضل فى ظهـور أم كلثوم · لأن أم كلثوم المستقبل ربما تطرق ميادين جديدة ·· ويكون لها أسلوب جديد فى الغناء ، وهذه هى سنة الحياة ·· انها لا تكرر نفسها ، ولم ترجـع عقارب الساعة الى الوراء ·

ومن يتذوق أم كلثوم فى المستقبل سيظل يتذوقها على أنها نموذج يحتذى ·· كما يحدث عندما يتـذوق الناس فى أوربا بتهوفن ،أو شـكسبير · فليس معنى ذلك ان الموسيقى أو المسرحى اليوم يحـاول أن يكـون نسخة من بيتهوفن أو شكسبير · وكذلك عندما تتذوق الجاحظ أو ابن المقفع ، أو المتنبى ، فاننا نتذوق هؤلاء باعتبارهم تراثا له جماله المستمد من عصره ·

ولكن عندما يحاول أحد الشعراء أن يكون نسخة من المتنبى ، فاننا نضحك على هذا التقليد العقيم ·

فالتراث هـو معنـاه ·· اننا نتـذوق على أساس انتمائه لظروفه ، وماضيه ، ولكن ليس على أساس أن

تأخذ منه نسخا طبق الأصل لتعايش حاضرنا ٠٠ الذى يجب أن يتجدد دائما ٠٠ والا حكم على البشرية بالتجمد وعدم الحركة ٠٠ ويقضى على الفلك الدائر أن يستمر ولا يدور وتصبح العبقرية التى تظهر فى جيل مكتفة بسلاسل كل عبقريات المستقبل ٠٠ ولا نسمح لها بالتجديد ٠٠ والحركة ٠٠

ولهذا يجب أن نتذوق الماضى فى ظروفه ٠٠ دون أن يقيدنا عن تجديد ذوقنا للاستمتاع لابتكارات جديدة ٠٠ تلائم عصرنا الحاضر ٠

زهور المستقبل :

واقتربنا من اشارة المرور ٠٠ وحاول الحكيم أن يعبر الشارع أكثر من مرة ، ولكنه لم يعرف ٠٠ فالسيارات كثيرة ، تطوى الطريق بسرعة مذهلة على الكورنيش ، ووقف لحظات ٠٠ ووقفت معه وهو يتطلع الى الأتوبيسات التى تفجرت مصارينها بالبشر ٠٠ وظهرت على قسمات وجهه الواضح ٠٠ علامات الألم ولم ينطق بحرف ٠ كان يتلفت يمينا وشمالا ٠٠ لعله يجد ثغرة ، ليعبر الشارع، ولم ينقذه من هذه «الورطة» الا شرطى المرور الذى يعرفه ، فأوقف السيارات

وأمسك بذراع الحكيم ‥ الذى كان يهرول مسرعا ، و « عصا الحكيم » تطير فى الهـواء ‥ رافعـا اياها ، والهواء الشديد يداعب أطراف البالطو الذى يرتديه الحكيم ٠

وسار الحكيم خطوة خطوة ‥ فى شارع رمسيس عندما اقترب من شارع عبد الخالق ثروت كان هنـاك بعض تلاميذ المدارس الابتدائية وهم يعبرون الشارع الكبير ‥ حاملين حقائبهم ‥ ومرايلهم الخفيفة يعبث بها الهواء ‥ ورأوا الحكيم ‥ انهم جيل المستقبل ‥ فيهم يتعلق أمل مصر وسدوا الطريق أمام الحكيم ‥ ومدوا أيديهم يصافحون « جدو الحكيم » ‥ ببراءة ٠ وصفاء ‥ وشاعت الفرحة على وجه الحكيم ، وهـو يرى تلك الزهور الحلوة ‥ وهى تحيطه ٠

وانسل من بينهم ، واقترب من عنق الزجاجة عنـد محطة الاسعاف ‥ وببراعة ، ورشاقة راقص الباليـه ‥ استطاع الحـكيم أن يتملص من بين الأتوبيسـات والسيارات والناس وعبر الشارع ‥ ودخل أجزاخانة « الاسعاف » ليشترى بعض الأدوية ٠ ثم خـرج حاملا لفافة الأدوية ‥ وسار فى شارع رمسيس ، وانعطف فى زقاق ضيق جدا بجوار « مبنى التليفونات » وهـو

زقاق قذر ملىء بالقاذورات ‥ والأتربة ‥ ولا يتجاوز عرضه خمسة أمتار ‥ ومع ذلك تجد صاحب سيارة يحشر نفسه لكى تمر فى الزقاق ‥ مهددة الناس الذين يمرون فى الزقاق ‥ ووصل الحكيم ‥ بصعوبة الى شارع الجلاء أمام الجريدة ‥ ووقف ‥ حائرا ‥ انها منطقة الخطر . اذ سوف يعبر شريط المترو والترام ‥ وسوف يعبر ‥ شارع العجائب ‥ وانتظر الحكيم طويلا ‥ حتى تمكن من العبور وهناك كان زميلى متربصا للحكيم أمام الجريدة ‥ والتقينا كاننا لم نعرف بعضنا من قبل ‥ وطلبنا من الحكيم أن نتناول فنجان قهوة معه على حسابنا ووافق الحكيم .

ودخلت مكتب الحكيم ‥ وأقسم بالله العظيم انه قد طلب لنا القهوة ‥ ولم ندفع شيئا : وكشف لنا السر قائلا :

ــ أصل القهوة هنا ‥ رخيصة ‥ بخمستاشر مليم ‥ ثم تغير ثمنها الآن الى قرشين ‥ السبب فى ذلك ارتفاع ثمن الورق ما دخل القهوة ‥ فى ارتفاع ثمن الورق ‥ لا أدرى ‥

الحب على طريقة الحكيم :

وضحكنا ‥ ثم استأذنته فى أن نلتقط له بعض

الصور ، وأن نتحدث قليلا • فرفض أن يتكلم • وسكت • وبينما كنا نرتشف القهوة •• يمهل •• قلت له •• مفاجئا :

ما رأيك فى الحب ••

وضحك الحكيم •• وهو يبعد الفنجان عن شفتيه •

أى حب •• الهادىء •• أم الحب الحارق •• أم الحب المسلوق •• اننى الآن فى حالة حب مسلوق ••

الحب •• بمعنـــاه العـــام •• بعضهم يقولون ان الحكيم •• لم يحب ••

انى أحب الحب •• وان للحب مقاما كبيرا عندى فى الحياة •• فى كل حياة وربما كان الحب هو الشىء الوحيد الجميل الذى نعيش به ومن أجله نحن البشر •

ان الذى لا يعرف ولا يستطيع أن يحب انسانا •• لن يعرف •• ولن يستطيع أن يحب الانسانية •

ان الحب قصـــة يجب ألا تنتهى •• وجوهر الحب مثل جوهر الوجود •• لابد أن يكـــون فيـــه ذلك الذى يســـمونه « المجهـــول » أو « المطلق » ويموت الحب فى الأرض ينتهى العالم ••

ثم لفنا الصمت مرة أخرى ·· ودخل بعض الضيوف واستأذنت ·· على أن أعود بعد غد ·· لأعرض أسئلتى التى أريد أن أعرف اجابتها من صاحب « أهل الكهف » معذرة أستاذنا الحكيم ·· فلقاؤنا الآن ·· هــو هذه السطور ·· أرجو ألا تغضب ··

اخر ساعة ١٢ مارس ١٩٧٥

خطوات.. مع الذكريات!

كاتبنا الكبير ·· توفيق الحكيم ·· كيف كان يفكر منذ خمس وعشرين سنة ·· فى المرأة ·· والسياسة ·· وتربية الرأى العام ·· والشباب ·· مشكلاته ·· وآماله وتطلعاته ·· وكيف قال لرئيس الوزارة ·· يجب أن تستقيل ·· لأن حرية الفكر الجامعى تكاد تختنق ·· بسبب المعركة التى دارت داخل الحرم الجامعى ، وفى المحيط الأدبى ·· حول محاولة حرق احدى الرسالات الجامعية لنيل درجة الدكتوراة فى الفن القصصى ·· تواردت هذه الأسئلة وغيرها ·· وأنا التهم كلمات الكتاب الجديد القديم للحكيم « قلت ذات يوم » · الذى يحتوى على مجموعة من المقالات والخواطر ·· والأفكار التى نشرت منذ ربع قرن أو يزيد ·· ما الدافع الى اعادة نشرها الآن ؟ هل مازال الحكيم عند رأيه فيما قاله فى مختلف هذه القضايا التى ماتزال حتى هذه اللحظة حية تنبض ·· مثيرة حولها ·· النقاش والجدل ؟ لعل كلمة الحكيم « صرير القلم اليوم هو نفير الاصلاح غدا » ·· تؤكد ذلك ·

فالمرأة عند الحكيم مخلوق عجيب .. غريب التكوين .. والتصرفات فهى مثلا تخاف من الصرصار أو الفأر، ولكنها لا تخاف الأسد .. وتستطيع أن تقلم أظافره .. ولا فرق بين مخالب أسد .. وأظافر رجل أثناء عملية « المانيكور » فقط !! وبالنسبة لمستقبل المراة ، فقد تخيله الحكيم فى مقال عام ١٩٤٦ ، بأنها ستتولى رياسة الوزارات وسيكون لها الحق فى أن تعين قاضية فى المحاكم العليا ، وأن ترأس محاكم النقض وأن تكون فى منصب النائب العام ، أما فى سنة ٢٢٠٠ ، فستحتل المراكز العليا فى الجيوش وستقود الدبابة والطيارة . وتلقى القنابل الذرية والصاروخية ، وتسدد أشعة الموت وتقود الأساطيل وتدير البوارج . وتعين فى منصب الأميرال .. والمارشال فى البحر والبر والجو . وعندما تتساوى المرأة والرجل فى هذه الحدود فان النقص فى النسل البشرى سيتناقص نقصا مروعا ، لأنه لم يعد هنالك ما يغرى الرجل بالاقتراب من المرأة . وزالت من الأذهان كلمة «السحر» أو «الفتنة» ولكن الغريزة الطبيعية فى أعماق المرأة ، تنفجر ، وتعود الى « موضة » ترك الشعر وارساله على الكتفين ، ثم تطغى عاطفة « الأمومة » فاذا بالنساء يتركن الوظائف فى الجيش والقضاء والشرطة « مفضلات حياة

البيت » أما فى سنة ٢٩٠٠ ، فتحدث تطـورات خطيرة فى حياة المرآة فتلبس « البرقع » الذى أصبح موضة عام ٣٠٠٠ ميلادية ، ثم عم نظام الحجاب التام للمرآة ، وقد أدى الى أن العزوبة كادت تختفى سنة ٣٩٤٦ ميلادية ، واشتد الاقبال على الزواج الى حد لم يكن معروفا منذ مئات السنين ، وبدأت المرآة تستعمل السلاح الذى لم تستعمله ، وهو قلبها ، فهى قد أخطأت عندما أرادت أن تصارع الرجل ، واستعملت رأسها وان أكثر النســاء يصارعن الرجال بسلاح الرجال ، وتجعل رأسها يواجه رأســه واذا وقف رأس أمام رأس فى بيت أو أسرة فالويل كل الويل لهذا البيت أو الأسرة • فمن المـؤكد أن النهاية الأليمة ستكون هى النتيجة ولكن لابد للمرآة أن تجعل قلبها هو الذى يتلقى رأس زوجها • فالرأس اذا التقى بالقلب كالصخرة اذا ألقيت فى النبع •

واذا كان هـ•ج ويلز قد تنبأ بأحداث المستقبل فى رواياته العلمية وخاصة فى قصته « آلة الزمن » بالنسبة لتطور الحضارة البشرية التى سيصل بها الانســان الى الذروة ، ثم يتحول الانسان بعد التفجير الذرى الى آكل لحوم لأخيه الانسان ، يربيه كالحيوانات ثم يلتهمه بعد ذلك اذا كانت تلك تنبوءات ويلز ، فان الحكيم •• قد

تنبأ بمستقبل المرأة ، على أساس انها فى رأيه ٠٠ هى صانعة الحضارات ، وان نهاية التطور بالنسبة للمرأة التى تحاول أن تقلد الرجل فى كل شيء ٠٠ هو ٠٠ أن تعيش فى مملكتها التى لا ينافسها فيها أحد٠٠ وأحببت أن أستوضح من الأستاذ الحكيم رأيه فى المرأة الآن بعد مضى أكثر من ربع قرن فأجابنى : « انتظرنى ٠٠ حتى أصل الى سنة ألفين ٠٠ انها سنوات قليلة ٠٠ ما يقرب من الثلاثين ٠ عندئذ سأقول لك رأيى » ٠

وقد لا يعلم الكثيرون من أبناء هذا الجيل ان الحكيم لم يكتب المسرحيات والروايات والقصص فقط من برج عاجى ، وانما كان قلمه يشترك فى كثير من القضايا الفكرية والسياسية مما عرضه لكثير من الاضطهاد ، وتوجيه الانذارات اليه وهو موظف فى الحكومة ، بل وعقابه بخصم أيام من مرتبه ، ففى عام ١٩٤٧ اشترك فى «قضية الفن القصصى فى القرآن» وهى رسالة جامعية كان قد قدمها الى كلية الآداب بجامعة فؤاد « القاهرة » الأستاذ خلف الله فطالب البعض بحرقها لأنها تتعرض الى بعض النواحى الفنية ، ولا ينبغى أن يتعرض لها فى فى القرآن الكريم ٠ وكانت هذه القضية كما يرى خلف الله ٠ هى قضية النكسة الجامعية وتناول الحكيم

هذه القضية وعرضها على الرأى العام فى «آخبار اليوم» وقد أثارت القضية العجب ، لأن عالمين جليلين من علماء الدين : الشيخ عبد المجيد سليم والشيخ شلتوت أفتيا لصاحب الرسالة بالأجر بينما آساتذة الجامعة حكموا عليه بالكفر واتهم الأستاذ آمين الخولى المشرف على الرسالة عقلية آساتذة الجامعة بالتخلف وكانت معركة فكرية جعلت توفيق الحكيم يطالب رئيس الحكومة النقراشى باشا بالاستقالة ٠

ثم يتعرض الحكيم لقضية هامة من قضايا الفكر٠٠ وآثر الكتاب فى تفكير الشباب فالكاتب اذا آخطأ فى تقديم الصور ، أو الأفكار المثالية فمما لا شك فيه أن جيلا من الشباب سيتأثر بهذه الكتابات ، وتخلخل ما اعتنقه من قيم ومثل ٠ وقد رأى الحكيم أن سفور المرأة فى مصر قد سبق شعور الأديب ٠ وأن الأدب فى ذلك الوقت مازال « حبيسا » تفوح منه رائحة الحجرة المغلقة ٠٠ أدب صناعة وأدب « علب محفوظة[1] » من التغيرات المستعارة والأساليب والدراسات المستخرجة من خزائن الأقدمين ٠٠ أما آدب الهواء الطلق ، آدب التعبير عما فى أعماق النفس من حرية وآمانة واخلاص ، آدب الحياة النابضة بتفاصيل المشاعر الأدمية ، هذا الأدب

العالمى الذى يؤثر فى نفس كل آمة ٠٠ وكل جنس وكل أدمى وحبذا لو عاد كبار كتابنا من حين الى حين يراجعون ما نشروه ، ويسترجعون ما آصدروه كما تفعل المصاريف المالية عندما تسترجع من آيدى الناس أوراق العملة الممزقة القديمة كلما مر عليها قدر من السنين !

وعندما ناقشت آستاذنا الحكيم فى آرائه عن الشباب فى وقته ٠٠ وهو انه كان كسولا وطموحا ٠ يريد كل شىء ، دون أن يحاول بذل الجهد ، والعرق ٠٠ فقال لى ٠٠ ان الحكم على الشباب الآن ٠٠ لابد لمن يريد آن يحكم عليه ٠٠ أن يرجع بذاكرته الى الزمن والوقت الذى كان فيه فى سنهم ، وسوف يجد فى آغلب الأحيان ٠٠ أنه كان يتصرف مثلهم ٠

ولم يشغل فكر الحكيم ٠٠ منذ خمسة وعشرين عاما قضايا المرأة وحرية الرآى ٠ والشباب ومشكلات المجتمع الطافية على سطحه ، بل كانت حرب فلسطين عام ١٩٤٨ ، تلح على كل كاتب أن يتخذ موقفا من هذه القضية ، ففى مقالته « شعب الله بغير الله » يحاول آن يرى صورة المشكلة من بعيد كما صورها صحفى آمريكى ، وآخر فرنسى ، فيقول لقد لخص « رنيه شووب » ـ وهو كاتب يهودى ـ الصهيونية فى فلسطين بعبارة واحدة فيها كل الدلالة على حقيقة حالهم :

« أن شعب الله يعود الى فلسطين بغير الله » · وأن الصهيونية ليست انشودة حالمة لجنس مضطهد كما استطاعت بحذق آن تفهم آمريكا البلهاء ·· ولكنها مشروع اقتصادى وسياسى سوف تندم على تأييده أمريكا فى يوم من الأيام ·

وكتاب الحكيم « قلت ذات يوم » ·· يضم ٢٨ مقالا ، لا تربطها وحدة موضوع ، ولكنها على غرار « حصاد الهشيم » للمازنى ، تصوير آفكار ، وآراء الحكيم منذ خمسة وعشرين عاما كانت منسية بين صفحات الجرائد والمجلات ، ولكنها عادت الى الحياة ليقرأها والجيل الجديد ··

خطوات مع الحكيم..
على شاطئ الاسكندرية

لكل انسان متعة ·· ولذة فى الصيف ·· على شاطىء الاسكندرية · البعض تذوب حرارتهم مع «الأيس كريم» والبعض الآخر تنتعش أجسامهم فى مياه البحر ، ويرتمون فى أحضان الموجات، أو الاكتفاء بالجلوس تحت الشمسية ، والتمتع بأشعة الشمس البنفسجية ·· فى شهر أغسطس · وهناك مجموعة صغيرة · حرصت كل صباح أن تجلس فى «كازينو بترو» ·· أو الاستحمام فى بحر الاسكندرية ·· أو التمتع بأكلة سمك وجمبرى اسكندرانى ·· لا شأن لها بكل مظاهر الصيف العادية ·· ولكن كل متعتها تنحصر فى استعادة الذكريات ·· وكلماتهم ·· تسبح فوق موجات الأدب ·· والفن ·· والفكر ·· ووسط هذه المجموعة التى يندر أن تتجمع فى وقت واحد فى القاهرة ·· يجلس عمالقة بحور الأدب ·· والفن ·· والفكر ·· محمود تيمور ·· توفيق الحكيم ·· يحيى

حقى ٠٠ وبعض الأصدقاء ٠٠ والمريدون جلست أكثر من مرة ٠٠ ولكننى لن أكون بخيلا كالحكيم ٠٠ فهـذه اللآلى ٠٠ التى تكـونت أمامى ٠٠ لابد من أن يـراها الناس ٠ ولابد أن يعيشوا مع عمالقتنا بعد تجـاربهم الطويلة المضنية ٠٠ ولو فى تلك السطور القليلة التى خرجت بها من « بترو » الاسكندرية ٠

توفيق الحكيم انتقى كازينو « بترو » الذى يقع فى أحضان ربوة طابية سيدى بشر الساحلية لأنه بعيـد عن عيون المتطفلين ٠٠ ولأنه مكان هادىء لا يجلس فيه الا الذين أحيلوا على المعاش ٠٠ أو المحبون ٠٠ ومنـذ عشرين عاما ٠٠ وندوة الحكيم مستمرة ٠٠ ومنذ أربع سنوات فقط ٠٠ جاء محمود تيمور ٠٠ وأصبحت الندوة ندوتين ٠٠ والسبب أن تيمور انتقل الى مسكنه الجديد الذى يقع خلف الكازينو مباشرة ٠ وصادفته مشـكلة عويصة ، وهى أنه كلما فتح نوافذ البيت ٠٠ تسربت سحب السمك المشوى من « مدخنة » الكازينو ٠٠ ويئس تيمور من التفاهم مع صاحب الكازينو ليجد حلا ، لمنع هذه السحب الكثيفة التى تستقر فى النهاية فى حجرات بيت تيمور ، مما اضطره الى اغلاق النوافذ ٠٠ ويأنه فى سجن ٠ فطلبت منه أن يكتب خطابا الى السيد حمدى

عاشـــور وزير الادارة المحليـــة ، عنـــدما كان محافظا للاسكندرية رحمه الله ، وكتب تيمور خطابا ، يعتبر تحفة أدبية ، ذكر فيها للمحافظ :

أن هناك اكتشافا أثريا ، لم يهتم به علماء الآثار ، وانه اكتشفه بمحض الصدفة ، وهذا الاكتشـــاف ٠٠ « مدخنـــة » كازينـــو بترو ٠٠ التى يرجع عمرها الى ما قبل التاريخ ٠٠ وانه من مقتنيات العصر الحجرى ٠ ولكنها الآن تنفث رائحة السمك المشـــوى الذى عثروا عليه فى بحر اسكندرية ٠ واهتم حمدى عاشور بصرخة أديبنا الكبير ، وأرسل المهندس رفعت زغلول الى موقع المدخنة الأثرية ٠٠ ولم تمض أيام ٠٠ وبدأ يجلس فى كرسيه بانتظام بجوار الحكيم فى « بترو » بعد تدمير « المدخنة الأثرية » !!

تذكرت هذا ٠٠ وأنا جالس أمام الحكيم الذى رأى صورة غريبة له فى يدى ٠٠ والصورة للحكيم وهـــو جالس ٠٠ فى حالة تأمل والعصا تلازمه ٠٠ وتنام فوق كتفه اليسرى ، وفوق كتفيه وقفت قطتان ٠٠ كأنهما أسدا قصر النيل ، فى حالة تفكير فلسفى ٠٠ نظر الحكيم الى الصورة ٠٠ وضحك ٠٠ وطلبت منه أن يعلق عـــلى الصورة ، فقال : ان القطتين هدية من الدكتور حسين

فوزى ٠٠ ملك القطط ٠٠ (على وزن ملك الحديد ٠٠ القطن ٠٠) وسكت الحكيم ثم استطرد قائلا : وقد ماتت احدى القطتين « جوعا » ٠٠ وعندما هربت القطة الأخرى ٠٠ قال أحد الخبثاء ٠٠ أن القطة الأخرى هربت خوفا من مصيرها المحتوم كما حدث للقطة الأولى التى ماتت من شدة كرم توفيق الحكيم !!

وجاء الجرسون ٠٠ ففوجئت بتوفيق الحكيم يقول لى :

ــ تشرب قهوة ؟

طبعا لم أرد ، فقد عقدت الدهشة لسانى ، اذ كيف يغامر الحكيم بطلب فنجان قهوة ٠٠ ولماذا ؟ ولم يتركنى لدهشتى فقال :

ــ أنا أطلب القهوة للضيوف فقط ٠٠ ولا أدفع الحساب ٠٠ ضحك الجميع ، وقد حدثت هذه الحكاية بين الحكيم والدكتور عثمانوف ، مدير المركز الثقافى السوفيتى بالاسكندرية ، الذى تخصص فى أدب الحكيم طوال عشرين عاما ٠ وجاء ليطلب منه مقدمة لكتاب جديد عن توفيق الحكيم ، وأثناء الحديث ، نظر عثمانوف الى طابية سيدى بشر ، وقال :

ـ ان هذا المدفع •• لابد قد وضع ليدافع عن ندوة الحكيم ••

وقال أحد الجالسين :

ـ انه ليس مدفعا •• انه منظار • وفى تلك اللحظة جاء « الجرسون » واقترب من الحكيم ليأخذ حساب الطلبات ، فتجاهله الحكيم ، ونظر الى الطابية ، معترضا على كلام أحد الجالسين ،

ـ والله •• مدفع !!

فرد عليه أحد الأصدقاء :

ـ خلاص •• متدفعش •• الحساب خالص !!

وأقبل عبد الرحمن الشرقاوى •• مع بعض الضيوف ، أحدهم سيناريست سينمائى آمريكى ، وآخر منتج لبنانى •• وقد جاءوا لاعداد الترتيبات النهائية الخاصة بسيناريو وحوار فيلم عن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ، معتمدا على قصة الحكيم وعبد الحميد جودة السحار ، والشرقاوى • وقد جاء الضيوف الى الاسكندرية خصيصا للاتفاق مع الحكيم الذى تظاهر بأنه مشغول •• وطلب من الشرقاوى أن يقوم بالواجب

الى ان ينتهى من الحديث . أو بالأصح حتى يطمئن الى أن حساب طلباتهم قد دفع .

وكل دقيقة تمر ، يزداد أعضاء الندوة .. وتتسع الدائرة . فقد جاء يحيى حقى وثروت أباظة . بينما كان تيمور يبحث فى حقيبته عن شىء .. ثم أخرج مظروفا ، وأخرج منه بعض الأبحاث التى كتبها المستشرق الروسى ف.م يوريسوف هذه الدراسات التى تؤكد مدى أهمية النقد الأدبى ، بينما نجتاز نحن فى هذه الأيام .. مرحلة أزمة نقدية ، وظلام كثيف يخيم فوق الحياة الثقافية . فكل شىء .. هادىء .. ساكن كالأموات فى المحيط الأدبى لماذا ؟ .. وما هى الأسباب التى تساعد على هذا الركود ؟

فتيمور مثلا بالرغم مما قدمه للفن العربى من ابداعات ، فهو الآن يجاهد فى اثراء القاموس العربى بألفاظ الحضارة والكلمات العربية الأصيلة لتساعد الفنان على التعبير عن فنه . وبمناسبة مما يدور الآن من صراع بين اللغة الفصحى ، واللغة العامية . فان يحيى حقى .. قد عانى من هذه المشكلة فى عدد المجلة الخاص بالقصة القصيرة فى العالم العربى ، فقد اضطروا أن يترجموا الحوار العامى الى الفصحى فى قصة

عراقية ، حتى يفهمه غير العراقيين • وتساءل اذا كنا أبناء أمة واحدة ، وأدب واحد ، ولغة واحدة •• فكيف يجوز أن يترجم بعضنا لبعض ؟! لقد آن لتلك القضية التى عاشت بيننا زمننا طويلا ، قضية التنازع بين العاميات والفصحى ، أن تبلغ مستقرها • اننا لم نعط هذه اللغة القديرة التى يفهم عنها كل ناطق بالعربية كى نهملها مختارين الى رطانات ان لم يعبها غير قصر المدى فما أقبحه من عيب • ان القصة هى اللغة السائدة بلا منازع ••

وهذا العيب •• هو ما يتميز به الأدباء الشبان ، الذين لا يجيدون التعبير باللغة الفصحى • ويقول الحكيم •• كيف يمكن أن ننعش الحياة الأدبية ! •• السبب فى رأى •• الجيل الجديد •• لا يجد شيئا جديدا •• فالذى يكتب رواية مثلا •• لابد أن يضيف جديدا بعد نجيب محفوظ •• فهل استطاع أن يقرأ جيدا كل ما كتبه نجيب محفوظ •• حتى يستطيع أن يضيف الجديد •• ولكن للأسف ليس هناك هذا الجديد الذى يضيف الى الأدب العربى شيئا وبالتالى •• يتفق الكلام على النقد ، فأين هم نقاد الشباب •• ان لكل جيل نقاده •• فهل قرأ نقاد الشباب ما كتبه السابقون

انهم يعلنون ·· انهم لا يقرأون ما كتبه السابقون ·· اذن فكيف يمكن أن ينقد الأعمال الجديدة ·· ويقيمها ·· ما لم يعرف ما كتبه السابقون ·· انني أنصح الشباب بهذه الكلمات :

« قل لى ما استفدته من السابقين ·· أقل لك ما ستحدثه من تجديد » ·

ومرت الساعات لم نحس بها ونهض الجميع . وسار تيمور بخطواته البطيئة متكئا على عصاه ، وقد ارتدى حلة شتوية ·· وسار ومعه بعض مريديه الى منزله القريب ·· بينما سار الحكيم وحده ·· رافعا عصاه ليحمى « البيريه » من الرياح ·

أما أنا ·· فمن الصعب أن أجلس مرة أخرى فى ندوة الحكيم بعد أن كتبت هذه السطور ·· عن حكايا أقدم ندوة صيف فى الاسكندرية !! وأطفأ الحاضرون عشرين شمعة عمر هذه الندوة !!

خطوة الحكيم.. والحب!

ان الحب قصة لا يجب أن تنتهى وجــوهر الوجود لابد أن يكون فيه ذلك الذى يســمونه « المجهــول » أو « المطلق » وبموت الحب فى الأرض ينتهى العالم ٠٠

ان الحب مع توفيق الحكيم له قصص وحكايات فقد عاش الحكيم الحب الهادىء ، وأدبه والحب الحــارق ، والحب المحروم ، والحب الملهم ٠٠ لفنــه ، وفكــره ، وأدبه ٠ أما الآن فهــو كمــا يقــول ٠٠ يعيش الحب المسلوق ٠ لكن رؤية الحكيم للحب٠٠ التى تبلورت خلال حياته ، وفنه ، لم تتضح الا بعد أن عاش لحظات حرمان طويلة أيام الطفولة ٠

فقد كانت والدته ـ وهى تركيــة الأصــل ـ ذات شخصية قوية عنيفة أشبه بالبركان الثائر وكانت تتميز أيضا بقدر غير قليل من العناد وحب التفاخر والتعالى على الآخرين مما دفع الحكيم الى عدم الاقترات من والدته فلاذ بكهف الانطواء والعزلة ، وازداد تمســكه بهــذا

الكهف بعد قدوم أخيه الصغير « زهير » ، فقــد استأثر القادم الحديث باهتمام الأم وحبها فراح الحكيم يبحث عن الحب في كل مكان ٠٠ وعن ذلك يقول :

« انى أحب الحب » ٠

وان للحب مقاما كبيرا عندى فى الحياة ٠٠ فى كل حياة ٠ وربما كان الحب هو الشىء الوحيد الجميل الذى نعيش به ومن أجله نحن البشر ٠

آه ٠٠ لو كان القــدر أعطانى هــذه المنحة لحظة واحدة ، وجعلنى أجد أحدا يحبنى ولو مرة واحدة ٠

ان الذى لا يعرف ولا يستطيع أن يحب انسانا لن يعرف ولن يستطيع أن يحب الانسانية ٠

ولعل الحرمان العــاطفى الذى عاناه الحــكيم فى طفولته هو الذى دفعه الى التعلق بالأسطى حميدة المطربة والراقصة الشــعبية الاســكندرانية تعلقــا شــديدا ، كتعويض لفشل علاقته العاطفية بأمه ٠ فكان يلازمها طوال اقامتها عند زيارتهم ، وكان يلح فى مصاحبتها الى الأفراح التى تحييهــا ، ويحرص عــلى الاندماج فى التخت ، وقد صور عاطفته نحوها فى حفل زفاف شهده معها فى روايته « عودة الروح » ٠

ـ يا سـلام ع الرقص اللى مافيش منـه •• ملبن بيرقص •• والله •

ـ الله أكبر •• يا ليلة أنس •• تانى وحياتك •• تانى ••

ـ ربنا يقويك •• يا أسطى حميدة ••

ـ تانى •• تانى ••

ـ لا كفاية بقا •• لازم نـزف العـريس •• يلا يا حبايب ••

ـ ياللا ياولاد بقا •• المعازيم روحوا لموا العدة • وأوعوا حد ينسى حاجة •

ـ حاضر يا معلمة •• يلا امال اعملو لكم همة •• واحنا بقينا •• وش الصبح يا ندامتى ؟

ـ فيه ايه يا أبلتى ؟

ـ فين توفيق يا أولاد ؟ دوروا عليه فى كل حتة ، ليكون تاه ••

ـ دنا شايفاه قاعد جنبك طول الفرح •

ـ امال راح فين •• يا توفيق •• يا توفيق •

ــ دا نايم أهه يا أبلتى ٠

ــ فين يابت ؟

ــ أهو تحت الكراسى ٠

ــ اسم الله عليك يا حبيبى ٠٠ ياحبة عينى ٠٠

ومرت السنوات ، وذاكرة الحكيم لم تمح منها هذه اللحظة الحلوة حين فتح عينيه ليرى نفسه بين ذراعى الأسطى حميدة يتلقى قبلاتها ، ومرت السنوات ، وعلم توفيق بزواجها وأصيب بخيبة الأمل من جديد وأصبح الحب المحروم ٠٠ هو الحب الذى يلهب أحاسيسه ليبدع فنه ٠ وعندما شب عوده وذهب الى باريس كان لعلاقته العاطفية بالفتاة الالمانية « ساشا شوارتز » آثر واضح فى رؤيته للحب ٠٠ ويصور لنا الحكيم قصة تعرفه بالفتاة « ساشا » فى هذا الحوار الذى حدث بينه وبين صديقه هاب فى باريس ٠

ــ أراك قد اعتصرت « موليير » و « بورماشية » و « ماريفو » اعتصارا ٠٠ يا توفيق ٠

ــ أشكرك أيها الصديق هاب ٠٠ اسمح لى أن سأطلب لك مشروبا ٠٠

ــ لا داعى ٠

ــ ان هــذا المشرب الصـغير ·· دمه خفيف ·· لا أدرى لماذا أحس بالسعادة كلما جئت اليه ·· يا الهى هاب انظر ··

ــ ماذا ؟

ــ هذه الغادة الفاتنة ·· ان جسمها ذكرنى بتمثال أفروديت ·

ــ ماذا تريد يا توفيق !

ــ نادى الجرسون ·· وأطلب سكينا !

ــ سكينا ؟ ماذا ستصنع به ؟

ــ أقتــل نفسى عنــد اقدام هــذه المرأة ·· حبــا وجنونا ··

ــ انها تستحق ·· ولكن للاسف ·· معها رفيق ·· وأى رفيق يا صــاحبى انه شاب وسيم أنيق لا أمل لك أيها الصديق ·· واذا أصررت على السكين فسوف أنادى لك الجرسون ··

ــ لا لا داعى يا هاب ·· هيــا بنــا نخــرج · · لا أستطيع أن أكتفى بالنظر الى كل هذا الجمال ·· هيا بنا ·· هيا نبحث عن السلوى فى مكان بعيد عن هنا ·

ــ توفيق ·· أين أنت ؟ أين أنت أيهـا الرجـل السـعيد ·· لقـد بحثت عنك كثيرا ·· لأخبرك بخبر سار ·· صديقى انها منذ اليوم ··

ــ عمن تتكلم ؟

ــ عن تلك المرأة !

ــ أى امرأة !

ــ المرأة التى رأيتها فى المشرب منذ أيام·· وكدت تقتل نفسك ·

ــ حقا ·· ما خبرها ؟

ــ يا للحظ عندما يؤتى الانسان !·· كنت بالأمس فى المشرب ·· ولمحت امرأة جالسة الى مائدة بجوارى وأمامها شراب ، لم تمسه شفتاها ، وقد آخفت وجههـا فى منديلها وراحت تبكى بكاء مرا ·· فعجبت لأمرها ·· ونظرت اليها جيدا ·· انها صاحبتنا « افروديت » ·· وتحدثت معها وعرفت آن صاحبها البرونزى اللون اسبانى ·· يدعى « جرسيا » وأنه قد هرب الى بلاده ، وتركها بلا مأوى ، ولا نقود ولا معين ·· وعرفت انها آجنبية هى الأخرى ·· آلمانية آو روسية لست آدرى ·· واسمها « ساشا شوارتز » ·

ـ وماذا ستفعل ؟

ـ انها تجيد الفرنسية ، وكانت تعمل سكرتيرة فى احدى وكالات السفر عندما خطف هذا الشاب الاسبانى قلبها وجعلها تترك عملها ·· ثم ختم قصته معها على هذا النحو ·

ـ وماذا قلت لها ؟

ـ انتظر يا توفيق ·· لقد كانت تريد الانتحار ·· فصحت مرتاعا آأنت تموتين وعندى شخص يموت فيك حبا وهياما وغراما ؟!

ـ خذنى اليها يا هاب ·· خذنى اليها بربك !!

وتعرف توفيق الحكيم على ساشا ، وتوطدت بينهما الألفة وشاركته حجرته الصغيرة ، بل وخصص لها مبلغا صغيرا كل يوم لكى تنفقه أثناء تجولها للبحث عن عمل · لكنه عندما عاد فى المساء ، لم يجدها ، ووجد رسالة منها تقول له فيها :

ـ سيدى ! ·· انك لا تريدنى لقد ظللت أبحث عبثا ، واستعرض فى ذاكرتى كل ما حدث أمس ، فى المساء والليل ، علنى اجد اللحظة التى أكون فيها قد خيبت ظنك فيها · لكن لم أوفق فورا ·

ـ لا شك انك مجنون يا توفيق ٠٠ لماذا ؟

ـ فى الحقيقة اننى نادم ومتألم يا هاب ٠٠ كنت أحسبها انها ستكون عبئا على ، ستضايقنى لكنها كانت تملأ المكان بعطرها النسائى ٠٠ ما اجملها عندما كانت مرتدية ثوب النوم الذى اعرتها اياه بالأمس !٠٠ ليتها تعود ما أوحش الليل بدون امرأة ٠٠

ـ هيا نذهب الى صديقتها التى كانت تقيم عندها فربما ذهبت الى هناك لتأخذ بقية أمتعتها ٠٠

ـ هيا بسرعة ٠

وعادت (ساشا) لتقيم عدة أسابيع مع الحكيم لكنه كان يخرج منذ الصباح ليعود فى الليل ، وذات مساء ٠ عاد فوجدها مستيقظة تخفى بكاءها وسألها ٠

ـ ماذا حدث يا ساشا ؟

ـ انك تتغيب كثيرا ٠٠ لـكأنك تتعمد الهرب من حجرتك ، ومن وجودى على الرغم من الجهد الذى أبذله حتى لا أضايقك أو أثقل عليك ٠٠ مسيو توفيق أرجوك من كل قلبى أن تخبرنى عما لا يعجبك فى ٠٠ قلهـــا بصراحة ٠٠ ربما كنت مخطئة ٠٠ قل لى كلمة ٠٠ كلمة واحدة كلمة واحدة ٠٠ مسيو توفيق ٠

ولم يقل لها الكلمة التى كانت تريدها ٠٠ وأوضح هذا عندما علق على تلك التجربة العاطفية بقوله :

« أنى أدرك الآن لماذا يفتر الحب الملتهب بين الخليلين اذا تزوجا ، وقد يعود الى سابق اشتعاله اذا عادا خليين ، لكل منهما حيـاته المنفصلة ٠٠ فان الانفصال هو الذى يغرى بالاتصال ما معنى سؤالها أتراها أنوثةالمرأة ، تنسى كل شرط واتفاق ولا تذكر الا الرغبة فى أن تشغل قلب الرجـل ! وماذا أنا قائل لها ؟ ما دمت لم أوفق بأنها تحبنى»؟

كانت هذه التجربة ٠٠ هى التى أوحت الى توفيق الحكيم بتلك الكلمات :

انى أحب الحب ٠٠

آه ٠٠ لو كانالقدر أعطانى هذه المنحة لحظة واحدة وجعلنى أجد أحدا يحبنى حقيقة ولو مرة واحدة !!

لم تؤثر التجربة العـاطفية التى مر بهـا توفيق الحكيم مع شباك مسرح « الاوديون » هى التى أثرت فى وجدانه ، وحسه الفنى أيضـا ٠ فهى « سـوزى » فى «عصفور من الشرق» وهى تتراءى ــ بخيالها وصورتها فى « شهر زاد » و « الخروج من الجنـة » و « يا طالع

الشجرة » وفى «أمام شباك التذاكر» ان «ايما دوران» تعتبر من الشخصيات العامة فى حياة قلب الحكيم وعنها قال :

كانت علاقتى (بايمــا) علاقة حب • وقــد كانت أول مرة أعرف فيها الحب الــكامل •• أى الذى يمس القلب والجسد معا • أما قبل ذلك لم نكن نعرف فى شبابنا لظروف المجتمع فى بلادنا غير نوعين عن الحب ينفصل أحدهما عن الآخــر تمام الانفصال فكان حب القلب شىء وحب الجسد شىء آخر • أما فى باريس فالى جانب حب (ايما) الكامل الجامع للقلب والجسد ، فقد كان هناك حب آخر جسدى محض لا علاقة للقلب •• هــــو تلك العلاقة مع « ساشا » التى شاركتنى حجرتى أكثر من شهر •

نستطيع أن نتعرف على مواقف الحب بين الحكيم و « ايما » فى ذلك الحوار الممتع الشـــيق ، الذى ضمنه مقطوعته الفنية « أمام شباك التذاكر » عام ١٩٣٥ •

ــ سيدى •• يريد مقعدا بالمسرح •

ــ لا •• لا أريد شيئا يا آنسة ! •• أشكرك !

ـ لا شيء ؟!

ـ لا شيء على الاطلاق ! ٠٠ أيدهشك ذلك أيتهـا الآنسة ؟

ـ بعض الشيء يا سيدى ! ٠٠ ألا تطلب شيئا ؟

ـ وماذا تريدين أن أطلب ؟

ـ أطلب ٠٠ كرسى بالمسرح مثلا !

ـ ولكنى واثق انه ليس لديك كرسى خال !

ـ ليس لدى ؟!

ـ نعم ! ٠٠ ليس لديك !

ـ كيف تعلم ذلك ؟

ـ أعلم حق العـلم ! ٠٠ واثق آنا من ذلك ! ٠٠ متأكد كل التأكد ٠٠

ـ هذا عجيب ! ٠٠ ولكن أؤكد لك يا سـيدى ٠ ان عندى كراسى خالية كثيرة ٠

ـ وأنا أؤكد لك يا آنسة ٠٠ انه ليس لديك أى كرسى خال !

ـ عندى ٠

ـ كلا ٠٠ صدقينى ٠

ـ كيف أصدقك يا سيدى ٠٠ وأمامى لوحة كراسى الصالة ، و ٠٠

ـ لا تهمنى اللـــوحة ٠ ٠ فلنتراهن ! ٠ ٠ انى وها هى ذى مائة فرنك ٠

ـ ستخسر نقودك ٠

ـ بالعكس ٠٠ وسوف ترين !

ـ هذا عجيب !

ـ لا محل للعجب ! ٠٠ هذا بديهى ٠٠ معقول ٠٠ لا تنظــرى الى هــكذا انى أتكلم مالــكا لجميع قــواى العقليــة ! ٠٠ ليس لديك محــل خال ٠٠ وكل امرأة جميلة ليس لديها محل خال فى قلبها ! ٠٠ (تضــحك مسرورة) ٠

ـ أفهمت ؟ أنى آرى جليــا آنــه لم يبق فى قلبك « فوتيل » واحد خال !٠٠ حتى ولا فى آعلى «التياترو» ٠٠ حتى ولا مكان للوقوف فى آخر الصفوف ٠٠ أليس كذلك ٠

ـ دعابة ظريفة !

ـ أعندك حتى مكان للوقوف ؟

ـ يا له من مزاح !

ـ نعم أنه مزاح ·· ولكن أجيبنى : أعندك ، أم لا؟

ـ أتريد مكان للوقوف ؟! ·· فى قلبى ! (تضحك) ما أغرب ذلك !

ـ ليس لديك ! هه · لقد سبق أن توقعت ذلك وقلته لك ·· أترين لقد صدق حكمى أليس كذلك ·· كذلك كنت مصيبا ·· وعلى هذا فاننى الرابح !

ـ بالعكس ·· لا تمس الرهان من فضلك يا سيدى

ـ كيف ؟

ـ لست انت الرابح !·· أنت تطلب مكانا للوقوف فى آخر الصفوف أليس كذلك !

ـ نعم !

ـ حسنا ·· عندى طلبك ·· عندى مكان ! ·· مكان لواحد فقط لحسن الحظ ·· فما رأيك !

ـ مكان للوقوف فى آخر الصفوف ؟ كيف ذلك !

ـ ألست أنت الذى طلبت ؟ ·· ومع ذلك ليس هذا صعب التفسير ·· هل فهمت ؟

ـ لا ٠٠ لم أفهم ٠

ـ أن هذا المكان يا سيدى يعطيك الحق فى الحضور هنا فى أوقات فراغك لتراني وتتحدث الى وأنت أمام شباك التذاكر ٠٠ وأقف كما ٠٠ أنت الآن !

ـ بغير جلوس ؟

ـ لا جلوس ، تقف هكذا مثل عود الزنبق ٠٠ هذا هو الحال ٠

ـ أهذا كل شيء ؟

ـ كل شيء ! ٠٠ والآن كما تـرى وقد سـويت المسألة ٠٠ فقد أصبح الرهان لى وهذا حق ! وانى أضع هذه الورقة المالية ذات المئـة فرنك بلطف وبذوق فى جيبى ٠٠

واستمر الحوار بين الحـكيم وملهمته « ايما » وحاول أن يسترجع منها الورقة المالية لكنه لم يستطع ، وأخيرا ٠٠ طلب منها أن تحبه ولو بأى ثمن ٠٠ فقالت له :

ـ لماذ تريد منى أن أحبك بأى ثمن !

ـ لأنى أريد ذلك وكفى !

ـ أعرف ٠٠ ولكن لماذا ؟

ـ روحك ٠٠ ذكاءك ٠٠ نظراتك !! ٠٠ شعرك المقصوص كشعر الهة مصرية ! ٠٠ كل ما فيك ينبيء بامرأة غير عادية ، ثائرة ، متطلعة تسخر من كل شيء ، ولا تحافظ لا على أصول عقلها السليم أو غير السليم ! وهى خليقة بأن تحول أوجاع الحياة وأحزانها أيا كانت ٠٠ الى مسرات وملاه ! ٠٠ نوع المرأة الخطرة ٠٠ لكنها المرحة الفكهة ٠٠ هذه هى صورتك ٠

ـ ليست صورة صادقة !

ـ بل وأزيد على ذلك أن امرأة كهذه ٠٠ لا تستطيع أن تستغنى عن رجل من نوعها ! رجل له ـ مثلها أساليبه الخاصة ! ٠٠

ـ ربما ! ٠٠ ولكننى أؤكد لك اننى لا أستطيع أن أحبك ، لأن قلبى الآن ليس ملكى !

ـ أؤكد لك انك ستحبينى !!

ـ أيمكن أن أحب اثنين فى وقت واحد ؟

ـ ولم لا ٠

ـ كيف ؟

ـ الرجل يحب حليلته وخليلته فى وقت واحد كما يحب كمنجته وقطته معا •• ولو آن ميزان الحب لهما غير متساو ! ولكنه مع ذلك يحب الاثنين •

ـ ليس هذا منطقيا !

ـ اسمعى هاك عنوانى ! •• فاذا أردت رؤيتى فارسلى الى كلمة •

ـ عبثا تحاول •• لن أكتب لك شيئا •

ـ سأنتظرك فى المساء •• بمطعم الأب لويس •• الى الملتقى أيتها الآنسة !

ـ الى الملتقى ولكنك سوف تنتظر طويلا •

وبعد لحظات جاءت احدى السيدات لتحجز لنفسها مكانا فى المسرح •• وسألتها « ايما » :

ـ ألا تعرفين يا سيدتى •• أين يقع مطعم « الأب لويس » ؟

ولم يزل توفيق الحكيم يحب « ايما » حتى اليوم • لأنها شيء بعيد غير موجود فى كل وقت •• لقد أعطته بعض أسرار نفسها وجسمها ولكنها ليست الآن فى يده ، شأن الطبيعة التى تعطينا وتستعصى علينا ••

ولذا نراه يقول :

« أن الحب قصة لا يجب أن تنتهى
الحب مسألة رياضية لم تحل ..
فجوهر الحب مثل جوهر الوجود ..
لابد أن يكون فيه ذلك الذى يسمونه « المجهـول »
أو « المطلق »
ويموت الحب فى الأرض
ينتهى العالم .

رباط مقـدس

لقد مر توفيق الحـكيم بأزمات نفسية مع المرأة ، مما جعله يعبر عن آلمه والصراعات التى تدور فى صدره فى أعمال فنية فيها هجوم على المرآة ، حتى لقبه بعض الأصـدقاء بعـدو المـرآة ، وبالرغم من كثرة الأعمال المسرحية والفنية التى قدمها الحكيم فى حياتنا الادبية ، الا أنه استطاع أن يخفى لواعج قلبه ، وقصص حبـه بين ثنـايا السـطور . وكان يدعو الى آن « الرباط المقدس » ليس هو رباط الزواج فقط .. بل هو رباط الحب وهو أغلى رباط بين قلبين ، وقد آبدع فى تصوير تلك الدعوة فى « الرباط المقدس » .

« ان حياتنا البشرية قائمة على عمــودين : روح ومادة ، لا حيلة لنا فى ذلك ، ولا ينبغى أن نفعل ذلك ، ومن ظن أنه يستطيع الاستغناء عن آحد هذين العمودين فهو كمن يريد النهوض على ساق واحدة ٠٠ انه فى أية لحظة مهدد بالانهيار وهذا هو حال بطلة حكايتنا ٠٠ كما سجلتها فى « الكراسة الحمراء » ٠

انى أختنق فى هــذا السجن الذهبى الذى أحاط فيه بسجانين لا يلقون فى نفسى غير الرعب والخوف ٠ فقد نشأت فى أسرة كبيرة عديدة الأفراد كل فرد فيهــا يحاول أن ينقب فى أعماق آفكارى ليرى اذا كان يجوز أو لا يجــوز أن آتصرف هــذا أو ذاك ٠ ولكننى كنت عطشى لأن أصغى الى رجل ٠٠ الى رجال يقــولون أنى جميلة ٠٠ تواقة الى آن آرتجف تحت لمســـات أيديهم المداعبة ٠ أريد أن أعرف طعم الحب ٠٠

آريــد آن يداعبنى ويلاعبنى رجــل يحبنى حب الجنون ٠٠ ولا يهمنى بعد ذلك من آن يكــون مصــيرى الزهرة التى تنتزع ــ وقد ذبلت من صدر الثوب الأنيق ٠٠ الحب ٠٠ الحب ٠٠

آه ٠٠ ان تلك الأحــلام الــوردية ٠٠ التى طالما شيدتها ٠٠ قد أسفرت عن ماذا ؟ ٠٠

عن زوج وضعونى تحت وصـايته ٠٠ زوج جاد أكثر مما ينبغى ٠٠ وانتهى أمرى ٠٠ الى آن أصبحت مومياء حية ٠٠

لم يزل أكثر الناس لا يفهمون ٠٠ ماهو الحب ؟

لقد سئمت حيـاتى ٠٠ كل يوم يمر كالآخـر ٠٠ تفاهات ٠٠ فى تفاهات ٠٠ علاقات سقيمة بين الأهل والأقارب ٠٠ لا جديد ٠٠

الى أن حدثت المعجزة ٠٠ والتقيت به عند شباك تذاكر السينما ٠٠ صدفة ٠

ـ اننى سعيد برؤيتك ٠٠ ولهذه المصادفة ٠٠ فقد رأيتك بالأمس فى حديقة « ميناهاوس » وتشاء الصدفة أن أراك اليوم اننى أحس بالفرحة والسعادة ٠٠

ـ لست أدرى كيف أجيب ٠

ـ لا يا سيدتى ٠٠ انى حقيقة لست أدرى من أنت ٠٠ ولا ماذا تصنعين ؟ ٠

ـ لكن ربما فكرت فى أية لحظة ٠٠ أليس كذلك ؟

ـ اننى أفكر فى اناس كل فضلهم انهم يحبسوننى فى سجن من السأم لكننى شاهدتك وأنت تمثل فى آخر فيلم ٠٠ يا أستاذ فتحى ٠

ـ لا أحب يا سيدتى أن يتجه اهتمامك الى الفنان وحده ·· لا تنظرى الى فقط باعتبارى ممثلا ! ·· ان الذى لدى شيئا آخر غير هذا ·

ـ وكيف تريدنى أن أنظر اليك اذن ؟

ـ لا تؤاخذيننى ·· لو قلت لك اننى عندما رأيتك بالأمس ·· غمرنى احساس غريب ·· بأن علاقة ما ·· ستنشأ بينى وبينك ··

ـ ربما ·· وشكرا ·· وداعا الآن !

ـ لا يا سيدتى ·· لا تقولى وداعا ·· بل الى لقاء هذا المساء سأنتظرك هنا فى حفلة السواريه ·· و ·· ستكونين قاسية اذا لم تحضرى ·· أرجوك أن تكونى كريمة وسأنتظرك ··

ـ انى أحب ·· أحب ·· أحب ··

هكذا هبط على الحب ·· كالصاعقة ·· وصدفة ·

لن يقف أحد فى طريقى ··

ـ (بفرح) آه يا سيدتى ·· ياله من فرح ! ·· أنت ·· أنت ·· انى لسعيد ! ·· تعالى من هنــا ·· لقد بدأ الفيلم ·· حجزت هذ البنوار ·· تفضلى ··

ـ ألا تدهش قليلا لمجيئى ؟

ـ انى كنت أنتظرك ٠٠ وكان يجب أن تأتى ٠

ـ ولكن لن تتصور معنى مجيئى هـذا ولا ما قد ينتج عنه ؟

ـ أظن أنى أستطيع أن أتصور وان أدرك موقفك ٠ ولكن مهما تفعل ٠٠ فلن نستطيع أن نهرب من القدر ٠ لقد شاء أن يحب أحدنا الآخر ٠٠

ـ لا أريد أن أتسرع فأسألك عن اسمك ٠٠ لكنك لا شك تسمحين لى فى آن أناديك بصديقتى ٠٠

ـ ممكن أن تنادينى ٠٠ بأحلام ٠٠

وطوقنى برقة وحرص كأنه يطوق شيئا مقدسا ٠ ووضع شفتيه على شفتى وضعا لطيفا خفيفا فى قبلة شبه طاهرة ٠ ولم أشعر ٠٠ كيف حدث هذا ٠٠ لقـد وجدت نفسى بعد ذلك فى شقته ٠٠ وسـمعته وهـو يقول لى :

ـ أرجوك ٠٠ آن تعتبرى البيت ٠٠ يا صديقتى يا حبوبتى ٠٠

وطوقنى والتصقت شفاهنا ٠

وتنفســنا والعين فى العين ٠٠ فخيــل لى ٠٠ انى أشرب بأنفاسه مشربا ٠٠ فأدركت عندئذ أن جســدى كان جوعان حبا ٠٠

وان هذا الرجل يستطيع أن يصنع بى ما يشاء ٠٠

ـ فتحى ٠٠ انى أموت ٠٠ أموت فيك ٠٠

ـ يا حبيبتى يا معبودتى ٠٠ يا حياتى ٠٠

آه ٠٠ اليوم فقط ٠٠ آدركت لماذا تحطم النساء كل قيد يحول بينهن وبين الرجــل الذى يكشــف لأعينهن العمياء عن ملذات الحب ! ٠٠ أين كنت غافلة عن تلك اللذة الكبرى ٠٠

لذة منح النفس للحبيب والفناء فيه ٠٠ والاحساس بأنى شىء ضعيف هش بين يديه ما أسعدنا نحن النساء بأن ندعن لمثل هذا الرجل وأن تطـوى ارادتنــا تحت جناحيه !

لقد سكرت من تلك النشوة الحلوة ٠٠ من همسات الغــرام التى كان ينشــدها لى طول الليــل فاسترخت أعضائى ولانت ، ودب النعاس بين أهدابى بطيئا ٠٠ بطيئا ٠

ورحت فى نوم بين ذراعيه لذيذ ٠٠

كم من الوقت نمت ؟

كم ٠٠ لست أدرى !!

ــ فتحى ٠٠ ماذا تفعل ؟

ــ كنت أتأملك أثناء نعاسك ٠٠ لقد خيل الى انى ثملت بعطرك الساحر ٠٠ انك تحسنين اختيار عطورك فيما أرى ٠٠

ــ حقا !! ؟

ــ لقد كنت أمسك أحيانا بأنفاسى خشية ايقاظك ٠٠ لقد كنت تبتسمين فى نومك كأنك فى حلم ٠٠ وغدا وجهك عذريا ٠٠ كأنه وجه طفلة ! ٠٠

ــ أين المرآة ؟

ــ لا داعى ياأحلام ٠٠ يكفى أن أراك ٠٠ مارأيك ! هل توافقين !

ــ « تضحك » فتحى !! ٠٠ اننى لا أرفض لك طلبا

ــ ماذا تقولين لو سافرنا معا ٠٠ وهربنا بعيــدا بحبنا !

ــ وبيتى وأهلى ؟

ـ اتركى كل شىء ·· وتعالى تظل سعادتنا تحت أشجار الربيع ·· فى أى بلد ··

ـ فتحى ·· لقد منحتك غشاء قلبى ·· ولم امنحه لزوجى ·· ويكفينا هذا من الحب ·· ولا داعى لان تعذب هنا الزوج ·· وطفلتى الصغيرة ··

ـ كما تريدين !!

ـ فتحى ·· هل غضبت ؟ !!

ولم يسلم توفيق الحكيم من هجوم الحاقدين عليه ، لأنه صور الحب ·· فى تلك الصورة العارية ·· الحقيقية وكان يهدف من هذا كما يقول :

« أن هذا الرباط المقدس ·· ليس تعاقدا اجتماعيا ، ولكنه تآلف روحى وجسدى ، ولا يكفى فيه أن يكون تآلفا روحيا فقط ·· أو جسديا فقط ··

خطوات .... معها..!

في حياة كل انسان لحظات ٠٠ مصيرية ، ولحظات تاريخية ، وفى هذه اللحظات يتخـذ الانسان قرارات حاسمة ، تغير مجرى حيـاته ٠ وقد أطلق الحـكيم على نفسه لقب « عدو المرأة » ٠ وتساءل الكثيرون ٠٠ كيف قرر توفيق الحكيم أن يتزوج ؟ وما السر وراء اتخـاذ هذا القرار المصيرى فى حياته ؟ وبعد مرور خمسـين عاما كشف الحكيم السر ٠

فقد كان معتادا على السفر الى باريس فى كل عام ٠ عندما نشبت نيران الحرب العالمية الثانية ، لم يستطع السفر ٠ ووجد نفسه محبوسا فى القاهرة وأحس انه سيفقد عقله ، اذا لم يسافر الى باريس ٠ وقد استطاع بعض صحابه أن يحصلوا على تأشـيرة خـروج ، رغم المخاطرات والمهـالك ، اذ كانت الغواصـات الألمانيـة تقطع الملاحة فى البحر الأبيض المتوسط ، وكان السفر

بالطائرات فيه أيضا خطورة • لكن الذين تمكنوا من السفرالى باريس، عادوا فورا وهم يتحسرون على ماكان لباريس من بهجة ، وذكريات فى النفوس ، فقد تحطم فيها كل شيء ، ونصحه الأصدقاء ، بعدم مغادرة مصر طوال خمسة عشر عاما الى آن تنتهى الحرب ، والى آن تعود باريس الى أيام الذكريات والشباب • تلك الذكريات التى سجلها فى كتبه « زهرة العمر » و «سجن العمر » و « عصفور من الشرق » •

وقد تساءل الحكيم مع نفسه •• ماذا سيفعل فى تلك الأيام التى آحس فيها انه كالمسجون الطليق • فلم يجد مفرا الا الاقدام على الزواج • ولكن كيف قبل هذا الفنان الذى يحرص على حريته بخوف شديد ، والذى حمل طويلا لقب « عدو المرآة » •• كيف تحمل قيود « القفص الذهبى الزوجى » ؟! • ومن الأعماق الحكيم تخرج تلك الكلمات التى يصور بها ما حدث له فى « قفصه الذهبى الزوجى » •• لقد وضع منذ بداية زواجه شروط، وراح يكتبها فى ورقة ، وقال لزوجته :

ـ ان هذا هو الدستور الذى سوف نعيش على بنوده معا •• أولا •• لا تخرجى معى •• ولن آخرج معك أبدا •• لأننى لست من الرجال الذين يخرجون مع

زوجاتهم لمشاهدة حفــلات السينما ٠٠ والحفــلات ٠٠ وغير ذلك ٠٠ انهم يسمونني « عدو المرآة » ٠٠ وسوف يراني الناس معك ، وســوف يرانى الصــحفيون ٠٠ فسوف يشــيرون الى ويقولون ٠٠ الله ٠٠ شــوف عدو المرأة ماشى مع زوجته ٠٠ »

ولكن الــزوجة التي عاشت معــه ، مع رغبــاته ، ونزعاته ، وتحكماته ٠٠ الى أن فارقت الحياة ساعدته على تنفيذ ما أراد ٠٠ وقبلت كل شروط بنود الدستور الذى وضعه ٠ ويتذكر الحكيم كلمات شقيق زوجته الذى كان يهوى الأدب والفن ، ويتمتع باحساس وتذوق الأدب ٠٠ انه لا ينسى كلماته عندما قال لأخته ، « لا تحاولى أن تقتربى منه ٠٠ لاأريد أن أسمع انك قلت له ٠٠ الى أين انت ذاهب ٠٠ ومن آين آتيت ؟ ٠٠ انه فنان ٠٠ فاهمه ٠٠ انه فنان » ٠ وكان هذا الشــقيق هــو جبهة دفاع مع توفيق الحكيم ضد زوجته ٠

ويتذكر الحكيم بعض ذكرياته ، اذ جاءت احــدى المســتشرقات الفرنســيات لــكى تلتقى ببعض الأدباء المصريين ، وتعرف عليها الحكيم ، ودعاها لتناول الغداء على نفقته ، فى محل كان قريبا من عمارة الايموبيليــا الآن ٠ وكان واجهة المحل تطل على الشارع ٠ وجلس ،

معها ، وتناول الغذاء ، وفى ذلك الحين ، كانت زوجته تمر هى وآخيها فى الشارع ، فلمحته ، وقالت لأخيها « أنظر ·· انه توفيق يجلس مع امرأة آجنبية ·· تعال ·· وانظر ·· » · واقترب شقيقها من المحل ، ورآنى كل هذا قد حدث ، ولم يدر الحكيم بذلك · وبعد مرور خمس سنوات ، عندما كان مسافرا الى باريس على نفقة اليونسكو ، وكانت المدة ستطول · فقال الحكيم لزوجته :

ـ ألا تريدين شيئا من باريس ··

ـ آه ·· هل ستكون مع الشقراء التى كانت تتناول الغداء معها منذ خمس سنوات ؟

ـ كيف عرفتى ذلك ؟

ـ اننى لم آعرف لوحدى فقط ·· اننى رآيتك ·· وكان أخى معى ·· ورآك أيضا ··

ويعقب الحكيم على تلك الحادثة · بأن زوجته كانت متفهمة ، كانت تقرأ كثيرا وتقرآ له كثيرا قبل أن يتزوج بها · ويقول ساخرا :

« كانت زوجتى تعتقد اننى شىء كبير جدا ·· كانت ترانى فى نظرها ·· آهم من الحكام آنفسهم فى ذلك الوقت · وكان مرتبى بسيطا جدا · وعندما ذهبت

لمقابلة عبد الناصر فى الحفل الذى يسلمنى فيه أكبر وسام فى الدولة ، قالت لى ٠٠ «اوعى تنحنى وانت بتأخذ الوسام منه» ٠ وفعلا عندما قابلته ، تذكرت كلمتها ، وظهرت الصور بعد ذلك ، وآنا رافع الرأس ٠ وتحدث البعض قائلين : «انت كنت عامل رأسك برأسه» ٠

ويفتح الحكيم قلبه فى جلسة صافية ، بعد آن خرج من حصار قوقعته ، ليلقى الأضواء على سر اخفائه نبأ زواجه عن الناس والصحف تلك السنوات الطويلة ٠ فيقول ببساطة :

ـ ان الزواج قضية خاصة ، لان الناس فى ذلك الوقت كانت ستعدل ٠٠ انه يدعى انه عدو المرآة ٠٠ ثم يعقد صفقة مع امرأة ٠٠ ومن هى التى اختارها ؟ ومن عائلة من ؟٠٠

ولذلك آخفى الخبر ، حتى عن آصدقائه فى الجريدة لدرجة أن مصطفى آمين عندما علم ، قال له :

ـ احنا آكبر صحفيين فى مصر ٠٠ احنا بنطلع الخبر من السراية نفسها ٠٠ وماضحكش علينا غير توفيق الحكيم ٠٠ وهو قاعد معانا ٠٠ ياكل ويشرب معانا فى الجرنال طول اليوم ٠٠

أما سبب افتضاح خبر الزواج ، فيرجع الى آن آحد الصحفيين كان يسكن فى شقة آمام شقة الحكيم ، وأحس هذا الصحفى آن هناك حركة غير عادية فى شقة الحكيم ·· وعرف أن الحكيم قد تزوج وروى الحكيم ذلك قائلا :

(وحاول ذلك الصحفى أن يجرى حديثا مع زوجتى على سبق صحفى · ولكنى جذرتها من التحدث مع الصحفيين ، لدرجة أنها أصيبت بعقدة من الكلام مع الصحفيين ، ولم تصب هى فقط بعقدة التحدث مع الصحفيين ، بل وصلت الى أولادى ·· ففى آحد الأيام كانت هناك حملة صحفية لاجراء آحاديث مع آولاد كبار الأدباء والفنانين ، فحذرت ابنى اسماعيل من عدم التحدث مع الصحفيين ·

وتساءل الكثيرون ·· هل كانت زوجة الحكيم تتقيد بكل كلمة يقولها ؟·· وتآتى الاجابة على فم الحكيم نفسه «فعلا ·· كانت تتقيد بكل كلمة آقولها ·· لدرجة غريبة !!» ·

ويتذكر الحكيم تلك الحادثة عن زوجته ·· التى نافست الزوجة اليابانية فى اطاعة زوجها ، وحبها له · فقد جاءته ذات يوم لتخبره بأن اسماعيل ابنه مريض جدا · ولكنه قال لها «الله ·· الله ·· هل ستكون هذه

هى البداية .. تقـولين ان الولد مريض .. ودرجـة حرارته مرتفعة .. والمدرسة تريد ولى آمره .. اسمعى .. أنا لاأريد أن أسمع شيئا من هذا .. آنا لى شغلتى .. الكتاب .. والورق .. والقلم .. واقفل على نفسى الحجرة .. وأعمل كما آريد » .

وحـدث آن مرض ابنه اسـماعيل بالتيفوئيد .. وكانت حالته خطيرة ، لانه لم تكتشف بعـد المضـادات الحيـوية ، والأمصـال .. وكان الحـكيم مسافرا فى باريس . وأحضرت الزوجة طبيبا مشهورا .. وسألها :

ـ أين والده ؟

ـ مسافر

ـ لابد أن نبعث له تلغراف .. لان حالة اسـماعيل خطيرة

ـ لا .. أرجوك .. لاتزعجه .. أرجوك ..

وبالفعل ، لم يعلم الحكيم بنبأ خطورة مرض ابنه اسماعيل الا بعد آن عاد من باريس ، وبعـد آن شفى ابنه .

ويسرح الحكيم بنظره بعيدا عبر النافذة ، ويتذكر تلك الأيام مع زوجته الصابرة التى احترقت لتنير طريق

الأدب للحكيم ، كانت تحترق ، لتهيء له الهدوء ، لكى يبدع ، ويؤلف كتبه التى خلدت اسمه فى عالم الأدب · انها الحياة الحقيقية المجهولة فى حياة الحكيم الذى حاول أن يخفيها عن ملايين القراء ··· ولكنه لم يستطع ، بعد أن رحلت عن دنيانا لقد اختل توازنه ، فقد القدرة على التركيز ، خاصـــة ، وأن ذلك «الضيف الخفى» ·· قد زاره فى بيته مرتين ·· يوم أن أخذ معه ابنه اسماعيل، ثم زوجته رفيقة عمره حتى أصدقاء عمره أخذهم معه ·· طه حسين (٨٣ سنة) ، والعقاد (٧٥ سنة) ومحمود تيمور (٧٩ سنة) ، وابراهيم المازنى ، وابراهيم المصرى ·· وبقى هو ٨٧ سنة) وحيدا ·· يحوم حــوله ذلك «الضيف الخفى» ·· ولا يصحبه معه فى رحلته الأبدية التى لم يعد منها أحد ·

خشى الحكيم أن يأتى ذلك «الضيف الخفى» فى أية لحظة ، دون أن يعلن فى كلمـــات معبرة عن مشـــاعره الحقيقية ، وعن نبضات قلبه ، تجاه رفيقة عمره ، التى كانت حارسا وراعية لقلعته الداخلية ·· بيته ، وأولاده، ولم يحدث فى تاريخ حياة أدبائنا ، أن كشف أحدهم عن الجــوانب المضيئة فى حيـــاة زوجاتهم ، وماقدمنه من

تضحيات ، لكى ينعم ازواجهن بالهدوء ٠٠، لاستجلاب وحى الفن والأدب ٠

ولكن الحكيم ٠٠ يكشف خبايا قلبه ، فى تلك الآهات التى ملأت صدره طويلا ٠٠ عن رفيقة آيامه ، «انها فعلا قد تحملت الكثير ٠٠ اننى كنت آخرج ٠٠ وأظل فى الخارج طوال عشر ساعات ، لاتعرف آين آنا ، ولا متى سأعود ٠ اننى كنت آشعر ان معاملتى لزوجتى فيها قسوة ، فأردت آن آخفف من تلك المعاملة ، واصطحبتهامعى ذات مرةالى باريس وصعدت بها الى الجبل وأحسست آن معاملتى لها قد تغيرت ٠ فكنت آخرج معها كل يوم ، وأجلس على المقاهى ، ونأكل معا فى المطاعم ٠ وأزور معها المتاحف ، وذات يوم قالت لى ٠٠ «آنا كنت فاكرة انك مش معبرنى» ٠ فقلت ٠ «مين قال كده ٠٠ دا هنا بس آقدر آتصرف بالشكل ده ٠٠ يعنى آنا فى مصر ٠٠ ماآقدرش اعمل كده ٠٠ المجتمع هناك غير هنا دا غير انى معروف هناك باسم «عدو المرآة» ٠٠ أصلهم حيقولوا ٠٠ ازاى يبقى «عدو المرآة» ٠٠ ويتصرف كده !!!» ٠

كانت رفيقة عمره ، تفهم كل شىء ، وتتقبل الواقع الذى تحياه معه ٠ وقد تحملت معه الكثير ٠٠ الأولاد

بكل مشاكلهم .. كانت لهم طلبـات كثيرة .. وهـو لا يعلم شـيئا .. حتى في مراهقـاتهم الذى أحب .. والذى لم يحب .. والذى تزوج .. كل ذلك تحملتـه هى لوحدها ، وتحملت العبء كله . حتى فى مرضها الأخير ، الذى ماتت بعده ،. وتخرج الكلمات من الحكيم وكأنه يهمس الى نفسه :

« في ذلك الوقت ، كنت أشعر بضيق شـديد ، وأعـددت نفسي للسـفر الى باريس لكن عندما علمت بمرضها ، أرجأت موضوع السـفر ، لأنهـا لو علمت ، لانهارت .. وخافت ، وانزعجت . فقـررت أن أهرب دون أن تعلم . فدبرت محاولة لكى تذهب الى والدتهـا في مصر الجديدة وتقضى عندها يومين أو ثلاثة ، وفعلا ذهبت الى هناك . ثم سافرت :

وعلمت بعد ذلك .. انهم قد أخبروها بسفرى .. فبكت ، وانهارت .. وقالت : « يا خبر .. وما يقليش .. مش كان يقول لى .. طيب كان يقول لى عشان كنت أمسك ايده كده وأقول له .. مع السلامة » . وانهارت بشدة ، وارتفع ضغطها ، وهبط ، وقلبها أيضا ارتبك .. وعندما احضروا الدكتور .. كانت حالتها سـيئة جدا ، فطلب منهم أن يبرقوا لى لأحضر ، وربما تتحسن

حالتها عندما ترانى . وعندما علمت بذلك .. قالت للدكتور « يعنى انت تقــدر تجيبه .. خــلاص بلاش تزعجه .. وتخليه يقطع رحلته » .

ويعقب توفيق الحكيم قائلا :

« للدرجة دى كانت حريصة على » جدا . انها أكبر حاجة أثرت على .. لقد كنت قاسيا عليها .. جدا .. جدا .. ولكن ليست هذه القسوة قسوة عمد .. ولكنها تحملت فعلا كثيرا .

ان هــذا الموقف مازال يؤثر عــلى تأثيرا كبيرا ، خاصة عندما أعود الى البيت وحدى :

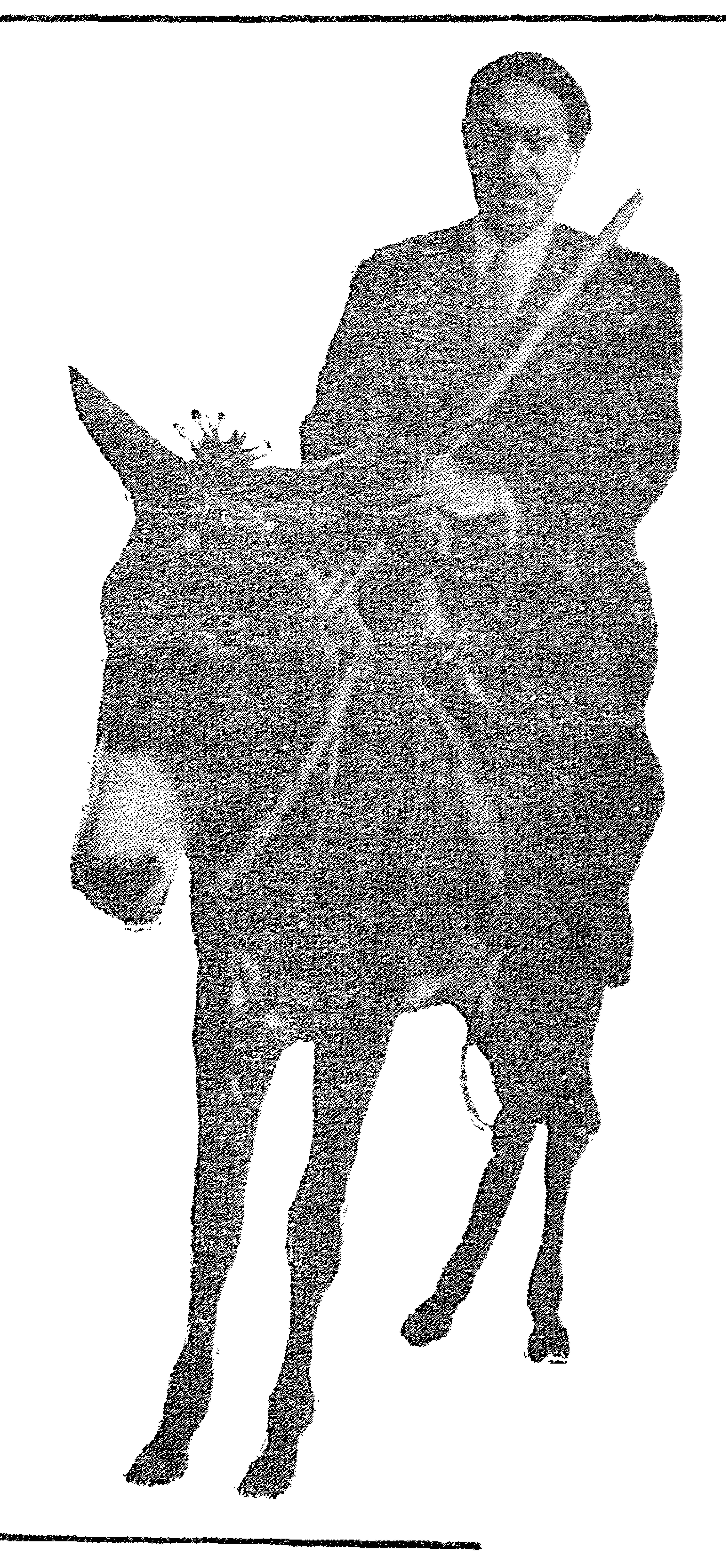
لقد مضى عليها عدة سنوات .. ولكنها تعيش معى فى كل لحظة .. وفى قلبى .. وفى وجدانى .. وأمام ناظرى . وفى كل صباح أدخل حجرتها وكأنها موجودة .. وأسلم عليها .. وأقول لها وأنا خارج نفس الكلام الذى كنت أقوله لها وأكاد أسمع نفس الكلام الذى كانت تقوله لى وأنا ذاهب الى عملى .. أو اذا كنت على سفر .

ان عندى رغبة فى أن أقابلها بعد الموت .. لأقول لها .. اننى لم أســافر .. ولــكننى أجلس فى بيتى الآخر فى مصر الجــديدة . وكانت دائمــا ترفض أن تصدق الشائعات .. حتى عندما أرسلت لها من باريس

أقول لها ٠٠ اننى سأُلغى التعاقد مع اليونسكو ، وسأعود الى القاهرة ، أرسلت لى خطابا تقول فيه : «صبر نفسك للهدف الذى سافرت من أجله ٠٠ وحلمت به كثيرا واذا كنت ستعود ٠٠ لكن اطمئن عليك ، فاننا بخير ٠٠ وغير محتاجين لأى شىء ٠٠ رغم انها كانت تعانى من الشائعات ٠٠ ومشاكل الأولاد ٠٠ ومشاكل البيت ٠٠

واننى الآن فى انتظار قدوم « الضيف الخفى » لكى أذهب معه ٠٠ اليها ٠٠ لأقول لها حقيقة ٠٠ ان الحياة بعدها ٠٠ كانت سقيمة ٠٠ ولا حياة فيها !!





خطوات مع الكلمات !

القهـــوة :

كان الحكيم فى أوائل حيـاته الأدبيـة ، يصرخ ويقول : « هاتولى قهوة » •• وأنا كفيل بازدهار الحياة الأدبية فى مصر • قهوة واحدة ، يلتقى فيها الأدباء ، فتنقل الصحف عنهم أنباءهم ، ويتحـدث النـاس عن أمازيحهم ، ونوادرهم ، وعندئذ •• ترى حياة أدبيـة رقيقة • ففى فرنسا مثلا يحرص أصحاب المقاهى على أن يضمنوا جلوس الأدباء والمفـكرين فى مقـاهيهم • وعنـدما كنت فى فرنسـا ، كان الأدب يحيـا فى حى « مونمارتر » ثم انتقل منه الى « مونبرناس » ومنه الى « سان جرين » ••

وجاءت الصحف الأدبية الفرنسية تسجل ما يحدث فى تلك المقاهى •

ولكن زعم بعض الأعـداء والخبثاء ، بأنني منـذ سنوات قد اخترت الجلوس على كرسى فوق حافة افريز ضيق جـدا فى قهـوة « ريتزانى » وكانت أمام البنك الأهلى ٠٠ وقد زعموا وأشاعوا بأننى اخترت هذا المكان الضيق حتى يستحيل على أى انسان أدعوه للجلوس ، أن يجد مكانا يجلس فيه ، وكذلك يستحيل عليه أن يطلب طلبا أدفع له ثمنه ٠ وهذه « فريه » ٠ فقد أعجبنى هذا الموقع ، حتى مضت سنوات طويلة ، وأجلس فيه ،٠

ويقول لى الحكيم : أنه لم يكن بى حاجة الى أن أجنب جيبى نفقات الأشربة التى يطلبها كل من جلس بجانبى فان الملعون (جورجى) القهـوجى ، لا أدرى من أين عرف حكاية البخل هذه عنى ، فكان اذا جاء وقت دفع الحسـاب ، وأخرجت من جيبى النقـود ، تجـاهلنى ، تجاهلا تاما ، ومد يده الى الجالسين يأخذ منهم حسـاب ما شربوه وجدت ذات يوم أن جلس معى رجل ، كان من أوجب الواجبات أن أدفع له الحساب ، فقد كان بينى وبينه ما يحتم على ذلك ٠ ولما هممنا بالوقوف ، وحاول هو أن يدفع ، بادرت فأمسكت بيد (جورجى) وأعطيته الحساب كله ، فأخذ اللعين النقود منى ، وأبقـاها فى يده ، ثم مد يده الى الضيف الـكريم وأدركنى الغضب

والخجل من هذا التصرف ، وصحت فى جورجى « والله العظيم ·· هـذا جـد ·· عيب عليك يا جـورجى ·· استحى على دمك يا جورجى ·· يا جـورجى أنا أدفع هذه المرة جد ·· والله ·· »

ولكنه لم يلتفت الى ، حتى قبض من الرجل حسابه فأخزانى ·· أخزاه الله ··

وبهذه المناسبة ، اشتهر توفيق الحـكيم بفنجـان القهوة الذى لا يطلبه لأحد · وأتذكر اننى عندما ذهبت فى ذات مـرة الى مقهى بترو ، وكانت قد مضت عـدة سنوات على تعارفنا ·· وكان موجودا الأديب الراحـل محمـود تيمور ·· ففوجئت ذات صباح بأن الأسـتاذ الحـكيم يصفق ويطلب قهوة ·· فأحسست أن عمـرى سـيطول مئات السـنين وأن هـذه المفـاجأة جعلتنى أتساءل ·· ماذا حـدث للحـكيم فى هـذا الصباح · فسكت ·· وفى نهاية الجلسة نظرت لكى يدفع الحكيم ثمن فنجان القهوة ، فلمحنى ، وبذكائه اللمـاح أحس ما يدور فى ذهنى ·· فقال لى :

لا ·· أنا أطلب بس القهوة ·· ولكن أنا أعرف انك صديق تيمور بك ·· فأنا أطلب ·· وهو يدفع·

وعادت أمنياتي بخفى حنين ، لأن الحكيم لم يدفع الحساب ٠٠ وأتذكر انني اصطحبت ابنى الصغير ذات مرة الى ندوة الحكيم وفوجئت بالحكيم يطلب زجاجة غازية ٠٠ فنظرت اليه ، وحسبت أن تيمور سوف يدفع الحساب ، ولكن الحكيم ضحك قائلا :

ـ لا ٠٠ هذه المرة لابنك فقط ٠٠ لأنها لن تتكرر ٠

وبمناسبة القهوة ، فقد اتفق الحكيم مع صاحب بترو الذى علق لافتة خلف جلسة الحكيم ٠٠ بأنه يمنح الحكيم فنجان قهوة صباحى مدى الحياة خلال أشهر الصيف في هذه الندوة ، وكل من يحضر الندوة ، يخرج الحكيم من جيبه « الصك » الذى يعترف فيه صاحب المقهى ، بأن يمنح فنجان قهوة مجانا للاستاذ الحكيم ٠

وعندما زرته فى الاهرام ، ضغط على الجرس واستدعى الساعى وطلب لى فنجانا من القهوة ٠٠ فعجبت جدا ٠٠ وتساءلت :

ـ ماذا حدث يا أستاذ ؟

ـ القهوة هنا رخيصة بقرش ونصف ٠

ـ مهما يكن ٠٠ المهم أننى شربتها على حسابك ٠٠

ــ لا ٠٠ انها على حساب الاهرام ٠٠ فالطلبات التى أطلبها كلها على حساب الاهرام ٠٠ تكريما لى ٠٠ ولضيوفى ٠٠ حتى تختفى اشاعة البخل عنى ٠٠

الحمار :

ماذا تعنى كلمة الحمار عند الحكيم ، وقد اشتهر حمار الحكيم وذاع صيته فى كتبه ٠٠ وفى سخرياته ؟

قال لى الحكيم أحبه جدا ، وعندما كنت صغيرا كان لى حمار فى الريف ٠٠ وكان صديقا لى ٠٠ ولكننى عندما كنت أذهب الى المدرسة ، وأترك الحمار وحيدا دون حارس ٠٠ فكانت تساء معاملته ٠٠ وكلما جاءت العطلة السنوية وأعود الى الريف أجد الحمار قذرا ٠٠ فكنت أشعر بحزن عميق ٠٠ لمصيره ٠٠ ومرت الأيام ٠٠ وكنت فى القاهرة ذاهبا الى الحلاق ٠٠ فوجدت شخصا يبيع حمارا صغيرا فى أحد شوارع المدينة بخمسين قرشا فتذكرت صديق الطفولة الذى أحببته ، ورأيت أن الثمن بخس ٠٠ ولكننى لم أقدم على شرائه ٠٠ لأننى كنت أسكن فى « بنسيون » واقترب منى ذلك الرجل ٠٠ وطلب منى أن أحدد السعر ، فقلت :

ــ ثلاثون قرشا ٠

فصرخ البائع :

ـ هذا ليس ديك رومى .. انه حمار .. حمار ثلاثون قرشا .. كيف هذا ..

وأصررت على الثلاثين قرشا ، وتركته ، ودخلت عند الحلاق لأقص شعرى .. وجلست على الكرسى .. وفوجئت ببائع الحمار يقتحم دكان الحلاق ، وخلفه الحمار الصغير ..

ـ أعطنى الثلاثين قرشا .. وخذ الحمار ..

ـ ماذا سأفعل به .. اننى أسكن فى بنسيون .. اننى كنت أمزح ..

وقال الحلاق :

ـ ان هذه صفقة طيبة يا أستاذ .. لا تضيعها .. حمار بثلاثين قرشا ..

وأخرج من جيبه ثلاثين قرشا .. وأعطاها للبائع وقال :

ـ لقد دفعت الثمن ..

ووضعنى أمام الأمر الواقع .. وانتهت عملية

الحلاقة ، وخرجت من دكان الحلاق آجر ورائى حمارا فى شوارع القاهرة ..

ماذا أفعل به .. فتذكرت صديقا لى قريبا من المكان يمتلك بيتا فى الريف ، ولديه حديقة صغيرة فى القاهرة لقد كان الحمار صغيرا جدا ، حرم من أمه .. وذهبت الى صديقى ، ليشترك معى فى المشكلة .. وفعلا .. قررنا أن نرسله الى الريف مع أحد أقربائه .. وعلمت بعد ذلك انه رفض أن تطعمه أم أخرى .. غير أمه ..

ومات ..

وحزنت على موته مرة أخرى .. وأطلقت عليه اسم « صديقى الفيلسوف » .. لأنه علمنى سر الموت وسر الحياة .. وذهب دون أن يودعنى ..

ويبدو أن توفيق الحكيم مثل الشاعر الفرنسى «جيمس» له معزة خاصة للحمار .. ومنذ ذلك الحين ، كان الحكيم عندما يريد أن يسخر من موقف من المواقف السياسية ، أو موقف اجتماعى ، أو يريد أن ينقد بعض مظاهر الحياة فى المجتمع المصرى ، كان يجرى حوارا مع حماره الساخر الفيلسوف .. واشتهرت هذه المقالات النقدية الاجتماعية باسم « حمار الحكيم » !!

جويلز ·· والحكيم :

ان جويلز هو امبراطور الدعاية فى الحرب العالمية الثانية ، والذى كانت دعايته سـببا فى انتظار قوات هتلـر ، حتى سـمى ذلك العصر ، بعصر الدعاية كان توفيق الحكيم مجهولا من القراء لا يكاد يعرفه أحد ·· وعندما أقدم على كتابة مسرحية « أهل الكهف » فكر به الحكيم ·· وخطرت بباله فكرة ، فنفذها ·· ولو علم جويلز بما قام به الحكيم ، لتقدم اليه ليكون تلميذا فى مدرسة الحكيم الدعائية ··

فقد طبع مائة نسخة من أهل الـكهف ، على ورق فاخر جدا ، وبعث بها الى كبار الأدباء والنقاد فى مصر والشرق ، وعلى رأسهم طه حسين الذى كتب مقالا ، يكاد يكون له شهادة ميلاد الحكيم الأدبية فدخل بهـا عالم الأدب ، وتربع كرسـيه فى مكانة بارزة ، وأصبح من رواد الأدب المصرى ، وعمالقة الفكر المعاصر ··

وراح كل أديب كبير ، يعلق على هذا العمل الأدبى الممتاز وأحس القـراء فى مصر والشرق ، انهم أمام حدث أدبى لا مثيل له ·· ويسألون عن كتاب « أهـل الكهف » ·· فيرد عليهم أصحاب المكتبات (ان الكتـاب قد نفد) ·

وتريث الحكيم قليلا ، حتى أصبح القراء على شوق أن يروا الكتاب وفى يوم قام الحكيم بطبع مئات النسخ من كتابه ، وامتلأت المكتبات ، بكتاب « أهل الكهف » فأسرع القراء ، ليشتروا النسخ قبل أن تنفذ ٠٠

الاسكندرية :

الاسكندرية ٠٠ هى حياة الحكيم ٠٠ يقول ٠٠ لقد ولدت بالاسكندرية انها مدينة جميلة ٠٠ وهى المدينة التى كانت تحظى باقدم وأشهر مكتبة ٠٠ وقيل ان الرومان ثم العرب هم السبب فى احراقها ولكن هذا ليس صحيحا ٠٠ ولم تعرف الحقيقة بعد ٠٠ والاسكندرية مدينة مشهورة بالثقافة ٠٠ والفلسفة وكان هناك ما يسمى بفلسفة الاسكندرية الاغريقية ، ولذلك فأنا أعشق الاسكندرية ٠٠

والحقيقة ان الاسكندرية هى الزوجة الأخرى التى يرتمى فى أحضانها الحكيم ٠٠ ثلاثة أشهر كل صيف ، أو أربعة فى بعض الأحيان ٠٠ يعقد فيها ندوته فى مقهى « بترو » ثم مقهى « الشانزليزيه » الآن ٠ يدور حوار يومى ، فيه حرارة ودفء ، وعمق البحر ٠٠ حوار صاخب الأمواج ، متضارب التيارات ٠٠ كل يوم تلتف

مجموعة الحكيم •• وبعض المريدين والأصدقاء ، والزوار يستمتعون بالفكر المتقد ، والحوار الذكى الملىء بالأفكار العميقة ••

الحب :

يقول الحكيم•• ان الحب•• او هذه الكلمة نجدها فى كل مكان •• منذ بداية التاريخ •• وقبل بداية التاريخ •• لا أدرى اذا كان الحب يعتبر سعادة أو تعاسة للرجال •• ولكن هذا مرتبط بالانسان الذى هو محل ذلك الحب •• واذا كانت امرأة •• فهذه كارثة •• اننى أقر حب الفن او لوحة ، او قطعة موسيقية •• أو حب الله أيضا •• ولكن حب امرأة !!

لا •• لا أستطيع أن أقول لكم ماذا سوف يجرى أن يقع فى غرام امرأة !

وحتى اذا كان حبا متبادلا •• واذا كانت حتى امرأة مثالية •• ففى كل الأحوال •• تعتبر كارثة !! واذا فقد هذه المرأة فهذه نهاية مأساوية ، واذا كانت امرأة غير مثالية فسوف تقتله هى !!

انى أحب الحب ••

وآن للحب مقاما كبيرا عنـدى فى الحياة •• فى كل حياة •• وربما كان الحب هو الشىء الوحيد الجميل الذى نعيش به ومن آجله نحن البشر ••

آه لو كان القدر أعطانى هذه المنحة لحظة واحدة ، وجعلنى أجد آحدا يحبنى حقيقة مرة واحدة ••

أنا الذى اعتقد طويلا ان عظماء الرجال هم عظماء العواطف وآقوياء الرجال هم أقوياء العواطف ••

أن الذى لا يعرف ولا يستطيع آن يحب انســان ، لن يعرف ولن يستطيع آن يحب الانسانية •

البيريه :

يبتسـم الحـكيم قائلا •• اننى تبنيت تسريحـة « البيريه » منذ خمسين عاما •• وهى تسريحة يمكننى أن آضعها فى جيبى ولقد أدخلت (البيريه) فى مصر ، حيث كان يسألنى الجميع •• (ما هذا ؟) فكنت آجيب (انها طاقية) •

ولقد آوعزت بارتداء (البيريه) الى آفراد الجيش الذى كان يرتدى فى ذلك الوقت •• الطربوش !!

وعــلى فكرة ، كان الحـكيم يرتدى الطــربوش ،

عندما كان ممثلا للنائب العام ٠٠ كان الطربوش الزى الذى يلبس على الرأس فى المدارس ، والمعاهد ودواوين الحكومة ، والوزراء وله قصص وحكايات ٠٠

السلطة :

انها آحيانا نكبة على آصحابها ، لأن الطبقة الحاكمة لا تبالى أحيانا بالقاعدة المحكومة ، ولا تفكر الا فى ذاتها التى تعنى لها كيفية فرض السلطة من أجل السيطرة ، والهيمنة والقهر ٠٠ ولا من آجل اسعاد الآخرين ٠

المسرح :

الآن بعد اختراع السينما ٠٠ يجب على المسرح آن يطور نفسه ٠٠ لأن السينما تتمتع الآن بامكانيات أكبر ٠٠ من حيث تقديم الأشياء ٠

ولذلك فالمسرح يجب آن يعود لمنابعه ٠٠

آقصه بالمنابع ٠٠ العودة الى الكلمة ٠٠ ويجب آن يعتمد على :

الكلمة ٠٠

والحوار ..

والفكرة ..

وليس فقط على القصص التى فى استطاعة السينما أن تقدمها !!

صينية البطاطس :

اختار الحكيم صينية البطاطس للسخرية من المرأة المصرية عندما كان ملقبا باسم « عدو المرأة » لأنه كان يحسب يومئذ انها توضع البطاطس والطماطم واللحم والبصل فى وعاء واحد ، ويزج به فى الفرن ، ويخرج بعد ذلك لونا شهيا محببا الى المعدة .. ولكن التجربة قالت له ان صينية البطاطس ليست سهلة الى هذا الحد، أو انها على التحقيق تعد ضربا من السـهل الممتنع .. فهى تحتاج الى دقة فى المعايير ، وعنـاية فى التتبيل ، ورعاية فى الفـرن حتى تنضـج وتتسـبك ودون آن تحترق أو تشيط ..

ولكنه بعد ذلك ، وبعد آن مرت عدة سنوات ، غير من فكره ، واختار بدلا من صينية البطاطس ، صينية الكنافة ..

والحكيم بينه وبين الصوانى والأبرمة صلة عاطفية منذ عهده بالقضاء والنيابة فى الأرياف ٠٠ وهو يقول ان المرأة التى تستطيع أن تصنع صينية البطاطس ، أو صينية الكنافة هى امرأة صالحة للزواج ٠

والمعروف عن الحكيم انه ذواقة للطعام ، وانه ينافس محمد عبد الوهاب فى هذا الفن ٠٠ وأنه يحترم السيدة التى تجيد الطهى بالبهريزات والتوابل ٠٠ فهى أنفع للانسانية من مخترع القنابل الذرية ، والهيدروجينية ، والصاروخية المدمرة ٠٠

ولكنه اختلف مع صديقه الموسيقار محمد عبدالوهاب فيقول : انه رجل نهم ، يأكل من كل صنف ٠٠ أما أنا فأفضل التخصص ولا أوزع شهيتى بين البامية والملوخية ٠٠ والأرز والاسكالوب ٠٠ والحاجات دى ٠٠ بل أقصرها على صنف واحد ٠٠ أوليه اهتمامى بدلا من التوزيع الهارمونى غير المنسق الذى يتبعه عبد الوهاب فى تناوله للطعام ٠٠

أما الطبق المفضل عند الحكيم ٠٠ فهو (دقية البامية) وهو أعظم من القنبلة الهيدروجينية !!

الجمال :

وأتذكر ذلك الحوار الذى أجرى مع الحكيم عن الجمال .. وعرض عليه مجموعة من صور نجوم فاتنات هوليود .. وطلبوا منه أن يختار أجمل الفاتنات ، فتناول الصور ، وتفرس فيها واختار صورة لمارلين مونرو .. وقال :

يا حفيظ .. اللهم احفظنا من هذا الجمال .. انه الجمال الخطر .. اللى يكعبل العقل حقا ..

وقد علق على طلاقها من المفكر آرثر ميلر فقال :

ـ لا ريب أن أعصابه لم تحتمل كل هذا الجمال .. ومن يدرى ربما كان بها عيب خفى أقوى من كل هذه الفتن .

ومن المعروف أن توفيق الحكيم من المغرمين بالجمال وأشعر به فى كل شىء .. حتى فى النساء .. ويعتقد أن من المصريات من هن أوفر جمالا من مالين مونرو ، وريتا هيوارث وغيرهن جمالا، ورشاقة وجاذبية .. ولكن المصريات فى رأى الحكيم .. لا يعرفن كيف يتثنين فى مشيتهن برشاقة وذوق .. فهن غشيمات فى هذا الفن الأنثوى الجميل .. وربما كان ذلك سببا فى جمالهن

الطبيعى •• وعندما سئل الحكيم عن رأيه فى الممثلات المصريات •• قال « ارجوك أن تدعنى بعيدا عن الشر، وعن مواطن الزلل ، فأنا رجل متزوج ومبسـوط ٢٤ قيراط ولا داعى لاثارة زوابع منزلية •• فقد تحدثنى عن جمال الممثلات البعيدات وهذا يكفى !!

حيـــاتى :

فيما يخيل الى هى فى يد المصادفة •• والمصـادفة غير قديرة على صنع حياة محبوكة الأطراف آه •• ان حياتى مفككة ••

كالقصة المفككة ••

أو الهيكل المزعزع الأركان ••

فأنا الذى لا يحب فى الفن غير قوة البناء ، وما يتبعه من قوة التركيز ، وهذا هو سر عنـايتى •• بالحـوار التمثيلى فى الأدب ••

الأدب :

هو الحياة •• او التعبير عن الحياة ••

انه الحياة كلها التى تحوى فى جوفها المصنع •• وغير المصنع ••

خطوات مع الحكيم بعد الثمانين

توفيق الحكيم !!

علم من أعلام مصر فى الفكر والمسرح والأدب ، ورائد كبير فى فن الأدب .. بكل فنونه .. وساخر فيلسوف من الحياة والموت .. خطوات كثيرة مشيتها مع عملاق الفكر .. عندما كانت صحته تساعده ، وكان يمشى على الكورنيش كل صباح من (سميراميس) الى (الأهرام) .. للرياضة .. والاستمتاع بقراءة وجوه الناس ، ولمسات الطبيعة ، ووجه النيل الخالد .. وذكريات .. وكلمات وحكايات سمعتها منه فى ندوته فى « بترو الاسكندرية » .. ثم فى « الشانزليزيه » بالثغر .. كل صيف ، وفى مكتبه بالأهرام .. وفى مستشفى « المقاولون » .. وتداعى الذكريات .. مع حكاياته وسخرياته ..

جلست اليه فى مستشفى « المقاولون » ذات مساء أكثر من ساعتين .. وكتب بخط يده تحية لمجلة «أمواج»

التى يصدرها مجلس الثقافة بالاسكندرية ·· ومن خلال حوارنا عن البحر ·· والأمواج ·· وكانت غرفته أشبه بغرفة عمليات ·· حتى سريره كان هو الآخر ·· على استعداد للطوارىء ·· وقال لى الحكيم :

ان حياتنا أشبه بميناء ·· نلهو فيه ·· ونلعب · الى أن تجىء سفينة كل حين ·· لتنقل الذين جاء دورهم فى رحلة العالم الآخر ·· وقد وقفت مع زملائى ·· على رصيف الميناء أكثر من مرة ·· وكانت السفينة تنقل عددا كبيرا منهم ·· تاركين اياى منتظرا على الرصيف ·· الى موعد الرحلة القادمة ·· وتناقص عدد زملائى ·· وأصحابى ·· وأحبائى ·· وما زلت أقف على رصيف الميناء وحيدا ·· فى انتظار السفينة ·· التى تأتى فى موعدها ·· وتنقل الراحلين ·· وكلما صرخت ·· جاءنى الرد :

ـ لم يأت دورك بعد ·· سبحان الله ··

وانشغل الحكيم فى التليفزيون الذى كان يذيع حوارا مع نجم من نجوم الكرة ـ وبعد فترة صمت ·· قال لى الحكيم :

ـ كانت البطولة عندنا هى بطولة « القلم » أما بطولاتنا اليوم فهى بطولة « القدم » · الكرة فى الماضى

هى « الأفـكار » ٠٠ أما اليـــوم وغـدا ٠٠ فهى فى « الأجوال » !!

وسألت الحكيم ٠٠ هل كان يتابع حلقة التليفزيون ٠٠ أم أنه كان يستعيد ذكريات حياته المليئة بالحيوية، والفكر ، والسخرية ٠٠ والصراع ٠٠

ان قيمة حضارة آية دولة ٠٠ فى تكريمها لعباقرة الفـكر فيها ٠٠ وقد منح الله مصر ٠٠ مجمـوعة من العباقرة ٠٠ والأدباء والمفكرين ليضيئوا لنا الحياة ٠

وتعود بى الذاكرة عندما احتشد آدباء ومفـكرو مصر للاحتفال بعيد ميـلاد آديب مصر الـكبير توفيق الحكيم ٠٠ وكانت هناك مفاجآة للحكيم فى عيد ميلاده ٠٠ منها أنه أهدانى هدية مضطرا فى عيد ميلاد محطما حاجز البخل الأبدى الذى آحاط به نفسه ٠٠ ما قصة الحمار ٠٠ والحب مع الحكيم ٠٠ وماذا كان يشغل بال الحكيم فى العام السادس والثمانين ٠

كان وجه الحكيم متوردا من فرحة الأصدقاء من حوله فى عيد ميـلاده ٠٠ احســان عبد القــدوس ٠٠ عبد الرحمن الشرقاوى ٠٠ آنيس منصور ٠٠ ابراهيم الــوردانى ٠٠ ثـروت آباظة ٠٠ صـلاح منتصر ٠٠

عبد الله عبد البارى .. أنور أحمد .. صلاح طاهر .. وعدد كبير من الأدباء ومن شباب الأدب والصحافة. كان وجه الحكيم فى تلك اللحظات متوردا .. لا أدرى .. هل خجلا .. أم فرحة بباقة أدباء مصر الذين يلتفون حوله .. وفى مبنى الأهرام .. كان الاحتفال .. تورتة كبيرة .. وهدايا .. وقبلات صادقة على وجنتى الحكيم من كل الأصدقاء ..

وعندما سمع الحكيم أن هناك هدية متواضعة هى عبارة عن « زراير » للقميص .. أعلن أنه سوف يكشف على هذه « الزراير » فى الصاغة لربما تكون « مغشوشة » .. ولمعت عيناه عندما سمع أن هناك تذكرتين دعوة الى باريس .. له ولمرافق ..

قال الحكيم : والمرافق هذا .. ألا يمكن أن نضع له تاء التأنيث .

قيل له : لك مطلق الحرية فيمن تختار .

قال الحكيم : وتاء التأنيث هذه .. كما تعرفون .. يجب أن تمشى فى الأسواق .. الشانزليزيه .. والمحلات .. وتختار بعض الأشياء .. على هذا على الحساب أيضا ..

قيل له : الدعوة للسفر ·· والاقامة فقط ·· أما اذا تجولت تاء التأنيث في الأسواق ·· فلا نقدر على هذا ··

كانت الضحكات مرتسمة على الشفاه ·· والفرحة تطل من العيون ·· ونحن نرى الحكيم·· أديبنا الكبير الذى أمتعنا بقلبه وفكره طوال ستة وثمانين عاما وأيضا بسخريته ··

وقطع الحكيم التورتة ·· وسط تهنئة الجميع ·· وهم يغنون « عيد ميلاد سعيد » ·· وتم تصويره وهو يطفىء الشموع ·· ولكنه قال :

ـ انني مسرور جدا ·· مادمت لن أدفع شيئا من هذا الاحتفال !

وهجمنا على « تورتة » الحكيم ·· نقتطع منها قطعة صغيرة ·· فالحكيم مشهور بالبخل ·· ومن نال قطعة منها أطال الله في عمره ··

وقام الشعراء ·· والخطباء ·· بالقاء مجموعة من كلمات الحب والتقدير ·· بهذه المناسبة الجميلة في عالم القلم والفكر ·

وقد حدث لي موقف طريف مع أديبنا الكبير توفيق

الحكيم قبل الاحتفال فقد ذهبت مبـكرا ٠٠ لأحييه فى تلك اللحظـة الحلـوة ٠٠ وجلست اليه ٠٠ وطلب لى فنجان قهوة ٠٠ وقال ضاحكا :

ـ لن أدفع مليما فى هذه القهوة ٠٠ فهى على حساب الأهرام ٠٠ خاصة وان هذا اليوم عيد ميلادى ٠

قلت له : ماذا يشـغل بالك يا أسـتاذنا ٠٠ وأنت تستقبل العام السـادس والثمانين ؟! قال بسـخرية : الضرائب !

اننى أتمنى أنيحـدث للضرائب عبور كما حدث فى عبـور أكتوبر ٠٠ ذات مرة جاءنى مبلغ ألفين من الجنيهـات من التليفزيون ٠٠ فقلت لنفسى ٠٠ انهـا فرصة ٠٠ وأرسلت المبلغ الى الضرائب ٠٠ حتى أمنع خطابات الحجز التى لا تنقطع ٠٠ ولم يصـلنى أى شىء من الضرائب التى يجب أن أدفعهـا كذا ٠٠ ولكن خطاب الشكر الذى وصلنى من الضرائب ٠٠ كان خطاب حجز جديد ٠٠

قلت : لماذا لا تسلم نفسك لمحاسب ٠٠ يتصرف مع الضرائب ٠٠ وينهى كل شىء ؟!

قال الحكيم ساخرا :

ـ ألا يحتاج المحاسب الى قيمة أتعاب ٠٠ وربما تزيد على الضرائب المستحقة على ٠٠ ان الذى يحيرنى ٠٠ أننى أدفع الضرائب ٠٠وأسمع من الأصدقاء ٠٠ أن راقصات شارع الهرم يحصلن على « نقطة » تكاد تصل الى ما آخذته من مرتبات طوال حياتى ٠٠ ولا تستطيع الضرائب أن تأخذ مليما ٠٠ لأنها « النقطة » ليست رسمية ٠٠ وغير مسجلة فى الدفاتر ٠٠ أما أنا فلا أحصل على قرش٠٠ والا ومسجل فى أوراق الاذاعة والتليفزيون ٠٠ وهكذا أتمنى أن تعفى الدولة المفكرين من هذه الملاليم التى تقلق بال الكتاب ٠٠ لأنهم واجهة مصر الفكرية ، والحضارية ٠٠ ولا نشغل بال المفكرين بخطابات الحجز ٠٠ والضرائب ٠٠ وعلى الدولة أن تجد وسيلة مشرفة لكى تعامل المفكرين معاملة خاصة كأن تخصم ما تريده أولا بأول ٠٠ من « المنبع » ٠

قلت لأستاذنا الحكيم : كل الناس يعطونك هدايا فى هذا اليوم ٠٠ وأنا صديق قلمك طوال عشرين عاما ٠٠ وأريد منك هدية رمزية ٠٠

ورأيت على المكتب ٠٠ تمثالا صغيرا من النحاس لحمار الحكيم ٠٠ فأخذته ووضعته فى جيبى وقلت له :

ـ متشكرين جدا على هذه الهدية التى منحتهـا لى فى عيد ميلادك ٠

ـ لا مانع ٠٠ ولكننى سأبلغ الأمن بأن حمار الحكيم قد فقد من فوق المكتب ٠٠ وأخبرهم بأوصافك ٠

ـ لابد أن تعطينى صكا ٠٠ مثل « صك براءة » يؤكد حوزتى لهذا الحمار ٠

قال الحكيم ساخرا : هل تعرف قيمة هذا الحمار ٠٠ أنه عزيز عندى جدا ٠٠ لأنه أغلب مخلوقات الله وأول مخلوقات الله فى العمل المضنى ٠٠ وأنا ٠٠ لا أدرى لماذا نستهين بجهد الحمار ٠٠ هل رأيت قائدا مغوارا يدخل معركة من المعارك ٠٠ ويمتطى حمارا ٠٠ هل رأيت حمارا يجر عربة ياسمين ٠٠ أبدا ٠٠ لابد وأن تراه يجر عربة « زبالة » ٠٠ هل رأيت انسـانا يجـد السعادة وهو يقدم حزمة برسيم للحمار ٠٠ ويطعمـه بيديه ٠٠ أبدا ٠٠ وانما تجد الحمار يبحث عن الأوراق والفضلات بجوار الرصيف وهكذا ٠

وسكت الحكيم ٠٠ ونظر الى تمثال الحمار القابع فى جيبى ٠٠ ثم قال :

ـ وبما أنك أخذت حمارى ٠٠ فلماذا لا تدعو الى

الاحتفال بتكريم الحمار ·· لأنه يعمل بصبر وكفاح ·· أنه أعظم من الأسد ·· فكما تعلم أن الآسد منظر فقط ·· لا يعمل شيئا ·· واللبؤة هى التى تصطاد الفريسة ·· وتقدمها له ·· ثم تبتعد هى وصغارها·· لكى يأكل هو الأول ·· فيختار ما يأكله ·· ثم يترك الباقى لها ولأولادها ·· أما الحمار ·· فلا يأكل الا بعرقه ·· وبعمله ·· وآنت مسئول منذ الآن ·· بما أنك أخذت حمارى ·· فعليك آن تتبنى حمله ·· ولو يوم ·· مثل يوم الأم ·· ويوم الحب ·· ويوم الرفق بالحمار ·· حتى نحس بأنفسنا ، فهناك اناس فى الحياة يأكلون ولا يعملون ·· يستحمون بعرق الآخرين ·· ماذا تسميهم ·· ماذا تطلق عليهم ··

قلت : طفيليات ··

قال الحكيم : آنا معك ·· ولابد من تطهير مجتمعنا من هذه الطفيليات ·· ولنبدآ بتكريم الحمار ·· حتى يخجل هؤلاء الطفيليون ·· وكلما نظرت آنت الى تمثال الحمار ·· الذى آخذته ·· عليك آن تواصل حملتك من أجل تكريمه ·

● وآخذت الصك من آستاذنا الحكيم ·· وقد كتب فيه :

« لقد سلبتنى تمثال حمارى ·· الذى أوحى الى بكثير من الأفكار ·· فعليك أن تهتم به ·· وترعاه ·· وتكرمه بأن تدعو الى الاحتفال بيوم ·· لتكريمه ·· لأنه رمز للحيوان الذى يعمل ·· باخلاص من أجل لقمة عيشه » ·

●● وأخذت « حمار الحكيم » فى عيد ميلاد الحكيم ·· السادس والثمانين ·· أمد الله فى عمره · وقد أحسست بالمسئولية تجاه هذا الحمار ·· ووضعته فوق مكتبى ·· لأتذكر كلمات الحكيم ·· مفكرنا وأديبنا الكبير ·· شفاه الله من مرضه الأخير ··

وقد كتب الحكيم مقالا بعنوان « حمارى ·· يشتغل بالسياسة » ، أسجله هنا ·· كوثيقة ادبية اجتماعية ·

حمارى ٠٠ يشتغل بالسياسة

جاءنى حمــارى آخيرا ثائرا يزبد وينهق ويرعد ويقول :

ـ اسمع ، انى مصمم هذه المرة تصميما أكيـدا ، ومصر اصرار تاما ٠ فاياك آن تثبط عزيمتى آو تحاول منعى ، آو تتدخل فى شئونى ، آو تعرقل مشروعاتى ، أو تفسد تفكيرى ، آو تبرد حماستى آو تكتم شـعورى أو تخمد نشاطى ، أو تطفى لهيبى ، آو ٠٠

ـ مهلا ٠٠ مهلا ٠٠ ما هو الموضوع آولا ؟ ٠٠

ـ الموضوع يا سيدى آنى قررت نهائيا الاشـتغال بالسياسة ٠

ـ على الرحب والسعة ٠ ومن قال لك انى أعارض؟

ـ آنت موافق اذن على دخولى معترك السياسة ؟ ٠

ـ موافق جدا ..

ـ هذا عين العقل ، الواقع أنها كانت سبة أن يجلس أمثالنا هكذا ينظرون الى أحداث بلادهم ولا يحركوا رأسا ولا ذنبا .. نحو الذين نشأنا فى هذا البلد ، ونعمنا بخيره وحميره ، ورعينا برسيمه ونجيله ، وشربنا ماء نيله ، كان حتما علينا أن يكون لنا يد فى مصيره .. لا سيما ونحن من أصحاب الفكر الراجح ، ومن قادة الرأى الناضج ..

فنظرت الى حمارى مليا وقلت :

ـ أنت تتحدث عن نفسك بالطبع ..

فلم يحفل بالالتفات الى ملاحظتى ، ومضى يقول :

ـ انها لضريبة يجب أن يؤديها أمثالنا ، فالضرائب الواجب أداؤها للدولة ليست مجرد المال الذى يدفع للمحصلين . ولكنها المواهب وثمراتها ، والقرائح وآثارها ، أن نتاج الأذهان لا يقل عن نتاج الألبان ثروة للأمة ، وأنا كما تعلم لست من فضيلة البقر ولا الجاموس حتى أؤدى ضريبتى لبلدى من نتاج ضرعى ..

ـ مفهوم ..

ـ اذن كان يجب أن أساهم فى الحركة السياسية بنصيب ، لذلك قررت الانضمام الى حزب من الأحزاب ٠

ـ هل وقع اختيارك على حزب بالذات ؟ ٠٠

ـ لا ، لم يحدث بعد ، وهذا بالضبط ما جئت أستشيرك فيه ، على أنه لا توجد صعوبة قد تقف فى سبيلى ، يحسن بى أن أذكرك بها حتى تكون على بينة من الأمر قبل الادلاء بمشورتك ، تلك الصعوبة التى تخيفنى تتعلق بشخصى ، أعنى ٠٠ هل تظن أنى سأجد حزبا يقبل أن تنضم اليه حمير ؟ ٠٠

ـ اطمئن من هذه الجهة ٠٠ ولا يكن عندك خوف ! ٠٠

فلمع الفرح والأمل فى عينى حمارى وقال :

ـ اذن قد ذللت الصعوبة ، ولتدخل فى جوهر الموضوع ، ما هو فى نظرك الحزب الذى يتفق مع مبادئى ؟

ـ أحب أولا أن أتشرف بمعرفة مبادئك ٠

ـ مبادئى معروفة : العمل لمصلحة الغير وانكار المصلحة الشخصية ٠ ذلك هو المأثور عن جنسنا وفصيلتنا منذ ظهرنا على الأرض ، لقد عملنا وكدحنا وجهدنا لما فيه خير الآخرين ، ولم يسأل لأنفسنا أكثر مما تستحق

بعرق الجبين ، فلم يعرف عنا اننا سرقنـــا كما تسرق القطط ، ولا نعمنا بالترف والدلال كما تنعم الخيول ، ولا طمعنا في أن نعزز ونكرم ونلقم السكر فى أفواهنا ولا نعمل شيئا ·· ولا شىء غير ذلك ·· حتى لقد جرى الناس على أن ينعتوا كل من يكد ويجد بأنه « حمـــار شغل » فمبادئنـــا هى ، كمـــا قرى ، أن ننتج وننتج ، ولا نبغى من وراء انتاجنا منفعة لذاتنا ··

ـ تلك بالطبع مبادئك باعتبارك حمارا ، ولكنك تريد ، عـــلى ما فهمت الانضمام الى حـــزب من أحزاب البشر ·

ـ نعم ، وهل يقتضى ذلك آن آغير هذه المبادىء ؟·

ـ تغيير طفيف ، كلمة واحـــدة صغيرة ضعها خلف عبارتك ، ليكون مبدؤك سليما فى عرف البشر ، ضع كلمة « لا » أى لا انتاج للغير ، ولا انكار للذات ·

ـ عجبا ! ·· وما فائدة الحزب السياسى اذن ؟ ··

ـ فائدته نفع ذاته ، أليست هذه فائدة ؟ ··

ـ والآخرين ؟ ··

ـ أى آخرين ؟ ··

ـ الفضيلة أو الجنس أو الأمة أو الدولة أو غير ذلك من الأسماء التى تطلق على المجموع ؟ ••

ـ لا تنس اننا نتكلم الآن فى محيط السياسة ، والسياسة فى كل زمان هى اللياقة أو المهاترة أو الخفة أو البراعة أو الكياسة التى نستطيع بها أن تسحب خاتم السلطة من اصبع منافسك وتضعه فى اصبعك •• الى أن يغافلك المنافس وينتهز منك فرصة فيسحب بدوره الخاتم من اصبعك ويضعه فى اصبعه •• وهكذا دواليك •• حتى يتعب أحدكما من هذه اللعبة وقلما يتعب •• فالمسألة اذن لا علاقة لها بانتاج ولا عدم انتاج •

ـ والشعب ؟ أهو قانع بمجرد المشاهدة ؟ ••

ـ ومن قال لك أنه قانع ؟ لقد دخل هو أيضا حلبة اللعب ، ان سياسة الماضى علموه كيف يتذوق هذه اللعبة ، فأصبح أكثر منهم تهافتا عليها واهتماما بها ، وأشد شوقا الى رؤية الخاتم ينتقل من يد الى يد ، ولا يطيق أن يصبر طويلا عليه وهو فى اصبع واحدة • شأن المقامرين الذين لا يطيقون رؤية كرة «الروليت» تقف دائما على رقم واحد بلا تغيير ، فهم يهللون ويهتفون للكرة كلما وقفت على رقم جديد •• ويفرح

الوضع ، ويتبدل أصحاب الفرح والترح بالتنـاوب ، وهكذا دواليك ..

ـ والشعب مسرور بذلك ؟ ..

ـ كل السرور ، ولقد آنست ، منذ زمن، الحكومات هذا الميل فيه ، فعملت على تعميم هـذه المتعـة بين كل الطبقات ، وتيسير اشتراك كل فرد فيها ، فجرت عـلى سنة لطيفة : وهى أن تأتى كل حكومة ومعها برلمانهـا وانتخاباتها ، أى «عدة الروليت» الخاصة بها ، فينصب « المولد » وتزدحم الجموع ، وتنتقل النقـود من جيب الى جيب ، ويعلو الصياح من فم الى فم ، وتمد الموائد وتقام الولائم ويكثر الطعام والشراب والبذل والعطاء ، ويغمر الشعب فى جو صـاخب كجـو الأعياد ردحا من الزمن ينسيه شقاء ، ويلهيه عن مصيره .

ـ هذا شيء جميل ! ..

ـ جدا .. على أن هذا كله كان يحدث فى الماضى، أما الآن فنحن أمام ظاهرة جديدة ، ان ثراء الحرب قد غير عقلية الناس فيما يظهر ، ما من أحـد يـريد أن يخسر ، لذلك كثر اللعب فى عين الوقت على رقمين أو أكثر ، وجعل الشعب مبدأه ذلك المثل الشعبى القديم :

ـ « من تزوج أمى قلت له يا عمى » والأم هنا هى السلطة ، فلا غرابة فى خروج الناس آفواجا من الحزب الذى خلا من السلطان ليدخلوا أفواجا فى الحزب الذى لمح فيه الصولجـان ، كأنهم يخرجون من دار سـينما تعطلت فيها الرواية ، ليدخلوا المسرح الآخر الذى أضىء بأنوار الرواية الجديدة ٠٠ ما دام هذا هو الاتجاه العام فنحن سائرون بدون أى مجهود نحو توحيد الأحزاب ٠٠

ـ اذن أنت لا ترى لى أن أنضم الىحزب بالذات ؟٠٠

ـ انضم كما تشاء على المبدأ الشعبى ٠٠

ـ «من تزوج أمى ٠٠٠» ؟٠٠

ـ بالضبط ٠٠

ـ ولكن ٠٠

ـ لا تقل ولكن ٠٠ ولا تكن حمارا ٠٠ ان عنـاد الحمير وصلابة رؤوسها لاتنفع فى السياسة ، اليوم كل شىء لين مرن ٠٠ لا فى المبادىء وحدها ٠٠ بل فى كل شىء ٠٠ وعند كل الناس ٠٠ حتى بين الموظفين المسئولين عن تنفيذ القوانين ، آلم تستمع بذلك المأمور الذى حجز مجرما من مجرمى التموين تطبيقا للقانون ، فاتصل به أحد ذوى النفوذ وأمره أن يفرج عنه فورا ، فأخرجه من

الحبس بعد الصفع والاهانة وأجلسه فى مكتبه ووقف بين يديه قائلا «والله لايصح أن تنصرف عنا قبل أن تشرب القهوة» !

ـ ياللعجب !٠٠

ـ لباقة ، أليست لباقة ؟!٠٠

ـ وأسفاه !٠٠ انى لا أملك هذه اللباقة !٠٠

ـ اذن أجلس حيث أنت ، ولاتطمع فى سياسة أو ادارة ٠٠ بينى وبينك ٠٠ آلا تظن أن هذه الحال فى مجتمعكم يجب أن تصلح ؟٠٠

ـ أظن أن هناك تفكيرا يتجه اليوم نحو الاصلاح ٠٠

ـ ومن الذى يصلح ؟ أهى الحكومة التى تصلح المجتمع ؟٠٠ أم المجتمع هو الذى يصلح الحكومة ؟٠٠

ـ أجيبك عن هذا اذا أجبتنى أنت :

هل البيضة من الفرخة ، أو الفرخة من البيضة ؟ ٠

ـ دعك من السفسطة ، ان اشتغالى بالسياسة على مبادئى قد يعطى على كل حال خير مثل من أمثلة ٠٠

ـ من أمثلة الحمق والقناعة والغفلة ٠٠ الجديرة بحمار ٠٠ هذا ما سيقال عنك وعن مبادئك ٠٠

ـ فليقولوا ما شاءوا ..

ـ انى أعلم منذ الآن ما سوف يحدث ، فأجلس حيث أنت واسمع نصيحتى ! .. انك لن تؤثر فيهم بمبادئك .. ولكنهم هم الذين سيؤثرون فيك بمبادئهم .. ولن يمضي وقت طويل حتى ترى انك لم تعد حمارا ..

● توفيق الحكيم ●



خطوات مع الحياة..
وماذا بعد الموت ؟!!

●● هل يقدر لنا أن نرى أحباءنا مرة أخرى بعد موتهم ؟ ٠٠ كان أوليفر لودج العالم الفيزيائى المعروف منــذ القرن المــاضى بأبحــاثه فى الضــوء والكهرباء والالكترونيــات والرياضــيات التطبيقيــة والفلســفة الطبيعية قد انتهى فى أواخر حياته الى الاعتقادالراسخ فى امكان الاتصال بالموتى ، فنشر فى هذا الموضــوع مؤلفات منها « بقاء الانسان بعد المــوت » و « الحيــاة والموت » ٠

ثم اتجه الى المصالحة بين العلم والدين ٠٠ وكأن لهذا الاتجاه الذى نقله من مجال العلم البحت الى مجال الروح والدين ما جعل بعض زملائه من العلماء يبتعدون عن أخذ هذا الاتجاه مآخذ الجد واعتبروا ذلك نابعا من عاطفة حزنه الشديد على وفاة ابنه ٠٠ فطبيعة الانسان بما ركب فيه من قوة فريدة فى الذاكرة وادراك عميق

لابعاد الشـخصية البشرية وتقـدير مدروس لاعجـوبة الانسان فى هذا الوجود ، كل هـذا يدفع الانسـان الى رفض صورة فنائه وزواله النهائى من سجل الموجودات لمجرد فناء جسمه المادى • فهو منذ اسـتوى على أرض الوعى الذاتى وهو يؤمن بأنه ما خلق بكل هذه الجواهر الثمينة فى طبيعته الا ليبقى وتبقى معه طبيعته المعجزة فى حياة ممتدة الى أبعد من حياة تركيبه المادى الواهن •• ولكن العلم المادى منذ انتفض قائما كالمارد آخـذ يقلقنا •• وآنا بنوع خاص عقلانى المنحى بحكم الطبع المتأصل يستهوينى العلم وأميل الى تصديقه •• ولـكن يوقعنى فى الحيرة عندما أراه صامتا أمام الروح •• وقد التمس له العـذر عندما أتذكر قدراته •• انهـا قدرات فائقة بالفعـل ، غير أنهـا قائمـة على ادراك الأشياء بالحواس المادية •

ومهما يتعمق العالم فى علمه فان اكتشافاته على علو قيمتها وسمو غايتها وقوة وقعها لتقدم الانسانية انمـا تتم بالفحص والفهم عن طـريق ما تدركه وما تمارسه حواسنا ، ولا شىء غير حواسنا • هذه الحواس التى تقرر لنا الموجود وغير الموجود •• وماذا تكـون حواسنا الضعيفة القاصرة فى هذا الكون الهـائل غير

المتناهي ؟! هذه الحواس التى تعجز عن ادراك ما خرج عن نطاقها المحدود •• لذلك لجأ الانسان الى شيء يستطيع أن يجيب له عن الأسئلة التى ليس لها جواب عند العلم ، أنه الدين •• ولكن أهل العقل يطمعون فى أن يسمعوا رأى العلم فى الدين ، وأن يربطوا بين العلم والدين •

وقد أتيح لى أن أجتمع بعالم كبير فى مؤتمر ثقافى فى فرنسا • هو (الفريد كاستلن) عالم الفيزياء الحائز على جائزة نوبل عن بحوثه فى المادة ، ومؤلف كتاب عنوانه « المادة ذلك المجهول » وهو مثل «اينشتين» من العلماء المؤمنين ، وقد سألته احدى الصحف الكبرى عن « المادة » وقد قطع فى أبحاثها شوطا أبعد مما وصل اليه أينشتين ، لأنه انطلق فى مساره بعد المرحلة التى وقف عندها سلفه العظيم •• أجاب كاستلر : «اننا كلما كلما أوغلنا فى دراسة المادة أدركنا اننا لم نعرف عنها شيئا ، فهناك دائما وسوف يكون دائما والى الأبد ماهو مخفى عنا » فسألوه : مخفى بماذا ؟ بمن ؟• فقال : « بالنظام الكونى •• بالله •• ربما •• » هذا نص ما لفظه كاستلر • وكلمة « الله » على لسان عالم انما تلفظ دائما بتحفظ • لأنه يخشى أن يسأل بعد

ذلك عمن هو الله ؟! ·· وهو بكل علمه ، وبكل علم البشر أجمعين لا يستطيع مخلوق على كوكبنـا أو أى كوكب آخر ، ولن يستطيع ، أن يصف « الله » ·· ولعل خـير اجابة هي ما وردت في القـرآن : «ليس كمثله شيء » ·· ومع ذلك سألته عن رأيه في العلاقة بين العلم والدين ·· فقال : ان العلم ينتمي الى منطقة المعرفة · التي تفسر الكون على أساس مبدأ « السببية » ، في حين أن الدين يعتمد في ادراك الكون على مبدأ «الغاية» ·· وهذان المبدآن يكمل أحدهما الآخـر ولا يعارضـه · وبذلك يرى كاستلر انه لا تعارض بين العلم والدين ، فالتوفيق اذن بين العلم والدين قائم دائما عن طـريق الاتفاق عـلى الهـدف · فهما لا يختلفـان في كونهما طريقين لصلاح البشرية وتقدم الانسان · ولكن لـكل منهما طريقه الخاص · والخطأ في التوفيق بينهما انما يأتي من مطالبـة الاثنين بالسـير في نفس الطـريق واستخدام نفس الطريقـة · فالطريقـان مختلفان · مختلفان · والغاية واحدة ·· طريق العلم تمتد فيه قضبان حديدية تسـير عليها قاطرة العقـل البشرى ، وتظل هذه القاطرة تسير حتى تجد آمامها سدا منيعـا من بحار لا نهاية لها وجبال لا نفاذ خلالها فتقف القاطرة

العقلية عاجزة .. أما طريق الدين فليس له قضبان ولا قاطرة .. انما هو نور يملأ النفس ويشعرها بالوصول فى حضرة الله دون أن تراه . وهذه المرتبة من الايمان ليست فى الشعائر التى قد يظن البسطاء أنها هى كل الدين .. فما الشعائر الا وسائل يتوسل بها العاديون من المؤمنين لتهيئة نفوسهم واصلاحها كى تسلك السبيل الذى يؤهلها للاقتراب من أشعة النور الالهى . ولذلك فان التركيز على الشعائر وحدها كما لو كانت هى كل الدين كالتركيز على السلالم أو السلالم دون الاهتمام الأعمق والأقوى بالطابق العلوى حيث النور الالهى الذى من أجله صنعت السلالم الذى يرتقى عليها للوصول .. فالطابق الأعلى اذن هو جوهر الدين . أنه ادراك النور بالشعور . وبالعقول الكبيرة أيضا لأولئك العلماء الكبار الذين ذكرهم الله بقوله : « انما يخشى الله من عباده العلماء » . والخشية هنا هى التقدير والاجلال ، وليست مجرد الخوف من البطش والغضب .. هؤلاء العلماء الذين قدروا الله . حق قدره ، عندما توغلوا فى الكشف عن أسرار خلقه فتبين لهم فى نهاية المطاف أنهم وأرضهم ليسوا أكثر من ذرة رمل على شواطىء بلا حدود ، وأن خالق الشواطىء

والبحار والجبال والسماوات والنجوم والمجرات والاكوان لهو من العظمة بحيث لا يمكن أبدا لذرة رمل مثلهم أن يقتربوا من سره الا بشعاع من نوره يتفضل به عليهم ·· وهنا يجدون أنفسهم قد دخلوا منطقة الدين عن طريق عجزهم البشرى ·· وكما جاء فى كتاب « درء تعارض العقل والنقل » لابن تيمية أن الرسل ·· يخبرون بما يعجز العقل عن معرفته » ·· وهذا هو طوق النجاة فى بحر اليأس العميق ·· اليأس الذى يغرقنى عندما يكاد العقل يقنعنى بأنه لا سبيل لبقاء الروح بعد فناء الجسد ، مفسرا لى كياننا البشرى تفسيرا علميا بأنه مجرد آلة كالآلة الحاسبة ، يعيش بذاكرة تملأ بالأحداث على مدى عمره ، كما تملأ شرائط الكمبيوتر ، وانه يتحرك بدوافع كهربية مغناطيسية تغذيها دورة دموية ، وأن الذاكرة والروح والحركة ان هى الا مرد نشاط عضلى آلى ، قد يصل التقدم التكنولوجى يوما الى أن يصنع مثيلا للانسان البشرى ·· ياله من تصور علمى مخيف ! ·· وياله من شقاء أليم أن نعلم أن أحباءنا الذين ماتوا ليسوا أكثر من آلة تحطمت وصدئت وألقيت فى حفرة العدم النهائى · لا رجعة لها ولا قيامة ·

وكما قال بولس الرسول فى احــدى رســائله فى صدد القيامة ، فى رسالته الأولى الى آهــل كــورنثوس اصحاح ١٥ : « ان كان الأموات لا يقومون فنحن شقى جميع الناس فلنأكل ونشرب لأننا غدا نموت · ولكن يقول قائل كيف يقام الأموات وبأى جسم يأتون ، الذى نزرعه لا يحيا ان لم يمت ·· بل حبة مجردة ربما من حنطة أو أحد البواقى ولكن الله يعطيها جسما كما أراد ولكل واحد من البذور جسمه ·· وهكذا أيضا قيامة الأموات يزرع (الانسان) فى فساد ويقــام فى عدم فساد ، يزرع فى هوان ويقــام فى مجــد ، يزرع فى ضعف ويقام فى قوة يزرع جسما حيوانيا ويقام جسما روحيا » ··

اذا قلت لنا آيها العقــل البشرى ويا آيهــا العلم الوضعى أن اجتماعنا مرة آخرى مع عزيزنا الذى مات هو أمر مستحيل عقلا فان كلمتك لن تكون الأخيرة ، ولن تدفعنا الى القنوط ·· فان فى قدرة الله وتقديره ما يتجاوز أى فكر لأى كائن مهما يبلغ عقله وعلمه فى أى جرم من أجرام الكون اللانهائى ··

خطوات ..
مع الحكيم نحو سنة ٢٠٠٠ !

لقد عقد اليونسكو بباريس اجتماعا فى يونيو ٧٧ ضم جماعة من المفكرين بصفتهم الشخصية المستقلة عن أى تمثيل لبلاد أو جنسيات ٠٠ وقد دعى توفيق الحكيم الى هذا الاجتماع ٠٠ وألقى كلمته ٠٠ وكانت خطوات على طريق المستقبل نحو عام ٢٠٠٠ ، فقال :

٠٠ ان التحديات التى سوف تواجه البشرية سنة ٢٠٠٠ لهى من الضخامة والتعقيد بحيث أجدنى فى غير موضع الاختصاص لمواجهتها بخبرة وتفصيل ٠٠ لذلك أكتفى بأن ألقى نظرة عابرة على واحدة من مشكلاتها التى تقلق بال الجميع فى وقتنا الحاضر ٠

مشكلة الطاقة :

والخطورة فى مشكلة الطاقة تكمن فى أنها تهدد التقدم الانسانى اذا لم يتم التوصل الى ايجاد حل لها ٠ ويبدو ان الاجتماع يكاد ينعقد على أنه الحل المباشر

هو فى اكتشاف موارد جديدة للطاقة تجنبا لخطر الاعتماد على مورد واحد من الممكن أن ينضب • وهناك بالفعل خطوات قد بدئت لاستخدام الطاقة الشمسية والطاقة النووية وهنا التحدى الأكبر لسنة ٢٠٠٠ •

التكنولوجيا

ان دفع التكنولوجيا الى مداها البعيد سوف يقضى على مورد آخر للطاقة أهملناه فى حياتنا المعاصرة : هو مصدر الطاقة الناتجة عن عضلات الانسان • فالانسان الحديث قد اخذ يعتمد فى أبسط حاجاته على القوة الميكانيكية • حتى فى البلاد النامية نجد أن استهلاك الكهرباء يزداد بسرعة وسوف يتضاعف من الآن الى نهاية هذا القرن • معنى هذا ان انسان هذا العصر ، فى كل مكان ، فى الصحراء وفى الأرياف وفى المدن ينقص باستمرار معدل استخدامه لقواه الطبيعية • فاذا استفحل هذا « الكسل البشرى » الى حد الاستغناء عن الطاقة البشرية والالتجاء كلية الى الطاقة الآلية لتحل الآلة فى نهاية الأمر محل الانسان فعلينا أن نتوقع ذلك الاعلان الرهيب ان « الانسان قد مات » فى بداية القرن القادم ،على نحو ما أعلنه « نيتشه » فى القرن الماضى ان

« الله قد مات » .. يجب اذن ، لكي ننقذ الانسان من هذا المصير المخيف ، ان نعمل منذ اليـوم بكل عنـاية ودراية على ايجـاد نوع من « التعادليـة » بين الطاقة البشرية والطاقة الميكانيكية .

التعادلية الانسانية

ينبغي أن نعمل على تكوين انسـان القرن القـادم تكوينا جـديدا يكفـل له عدم الاعتماد على الآلة الا فى الأعمال التى تعجز قواه الطبيعية عن أدائها .. وليس هذا لمجرد اقتصاد وتوفير الطاقة الصناعية فقط بل الى جانب ذلك للمحافظة أيضا على سلامة النوع البشرى بكل قدراته الجثمانية وفضائله الخلقية ، ودفاعا عن الانسان الآلى .. ذلك ان الطاقة صورة للحضـارة . وانه لأمر مرعب أن نتصور أن حضارة القرن المقبل سوف تكون حضارة الانسان الآلى ..

الانسان حي والله موجود

كلنا آمل أن تخفت صيحة الخطر : « الانسان قد مات » وان تعلو صيحة أخرى مطمئنة « الانسان حى » على نحو ما خفتت صيحة « نيتشه » فى القرن المـاضى

وارتفعت صيحة أخرى : لبعض المفكرين المعاصرين اليوم : « ان الله موجود » • واكتفى بذكر كتاب واحد ظهر حديثا للمفكر : اندريه فروسار [بيع منه ملايين النسخ]« الله موجود لقد قابلته » •• وهنا مشكلة أخرى من مشكلات سنة ٢٠٠٠ يجب أن نتدبرها منذ الآن : الدين • ما هى العلاقة التى ستقوم بين الدين والعلم ؟

الدين والعلم

ان الدين ـ هذه القيمة التى اختص بها الانسان وحده ـ هو الذى يجيب عن هذا السؤال الخالد على مدى القرون : « من الذى خلق الدنيا ؟ » •• هل يستطيع العلم الملحد فى القرن الماضى أن يصبح مؤمنا فى القرن القادم قد أفهم كلمة « الدين » وحتى كلمة « الله » عندرجال العلم قد يكون لها من المعنى والمدلول ما يختلف عما عند رجال الدين • ولكن السؤال يبقى دائما هو السؤال الخالد للبشرية • كل قرن وعصر يطرحه • وكل القرون والعصور القادمة سوف تطرحه بدورها • حتى الكواكب البعيدة والمجرات السحيقة : « من الذى خلق الكون ؟ » •• اذا سكت العلم تكلم

الدين ·· على كل حال يجب أن نضع فى قائمة السائل المتعلقة بسنة ٢٠٠٠ مسألة العلم فى مواجهة الدين · وانى لأود أن أسمع فى هذا الصدد رأى رجل العلم الكبير الحاضر معنا الآن : الفريد كاستلر » ··

رد العالم كاستلر
فى الدين والعلم

ورد عالم الفيزياء الفريد كاستلر الحائز على جائزة نوبل عن أبحاثه فى المادة والضوء والمؤلف لكتاب علمى صدر أخيرا بعنوان « المادة ، هذا الشىء المجهول » ذكر فيه أن العلم كلما توغل فى دراسة المادة انتهى الى انه لا يعرف عنها شيئا ، وان هناك شيئا فيها سوف يظل أبد الدهر مخيفا عنا ·· وقد حرص على أن يخط بيده باللغة الفرنسية جوابه عن سؤالى · وهذا نصه بعد ترجمته : « طلب توفيق الحكيم رأيى فى العلاقات بين العلم والدين · بين هذين النشاطين المعنويين للانسان · ولا أعتقد انه يوجد تناقض بينهما · فهما فى علاقة أحدهما بالآخر يعتبران متكاملين وليسا متعارضين · فالعلم والدين كل منهما تتحدد طبيعته طبقا لخطة مختلفة فى مجال النشاط الانسانى المعنوى·

فالعلم مجاله المعرفة ، وميدانه دراسة الوقائع المتراكمة أمام حواسنا · أما الدين فمجاله الايمـان · وفى كل الأزمان وجد ويوجد رجال العلم المؤمنـون ، ورجال العلم غير المؤمنين · وانى أود أن أسمح لنفسى بنقـد تعبير لتوفيق الحكيم وهو يتحدث عن العلم الملحـد فى القرن الماضى · اذ يبدو لى من غير الممكن وصف العلم فى القرن التاسع عشر على هذه الصورة · فهذا القرن نحا الى الاتجاه الفلسفى الذى أطلق عليه «المادية العلمية»، معتمدا على نتائج للعلم لم تكن بعد مكتملة ، مما جعل بعض العقول تستنتج منهـا عدم وجود الله · فوجود الله ، خالق هذه الدنيا ، لا يمكن اثباته كما لا يمكن نفيه بالعلم · فالعلم لا يوصف بأنه متدين ولا بأنه غير متدين · فرجل العلم يحاول تعليل الخليقة على أساس مبدأ « السببية » Causalite أما رجل الدين فهـو يؤكد الوجود على أساس مبدأ « الغائية » ·

فهذان المبدآن « السبب » و « الغاية » · والبداية والنهاية ، كما استطاع الفكر الانسانى أن يستوعبهما، يتكاملان ولا يتعارضان ·

خطوات ..
في رحلة عمر الحكيم

● ولد حسين توفيق الحكيم فى الاسكندرية عام ١٨٩٨ فى التاسع من أكتوبر بحى محرم بك ـ الاسكندرية .

● حصل على شهادة الابتدائية عام ١٩١٤ والتحق بمدرسة رأس التين ثم العباسية الثانوية بالاسكندرية .

● وتوفيق الحكيم بذلك قد مر من قرن الى قرن .. من لمبة الجاز نمرة (٥) الى وهج الكهرباء والأضواء من عربة الحنطور الى الطائرة انه عبر ٥ أجيال من القرن التاسع عشر الى قرابة نهاية القرن العشرين .

رأى جدته .. وسعد بأحفاده .. بدأ حياته مع الموال والتخت ثم انتقل الى كلاسيكيات السيمفونى والفيلا هارمونيكا .. أى انه تعايش من « عم زعبلاوى » الى سلامة حجازى وسيد درويش .. الى بتهوفن ومحمد عبد الوهاب ..

● حصل على شهادة الكفاءة ١٩١٨ .

● حصل على شهادة البكالوريا عام ١٩١٩، والتحق بمدرسة الحقوق بالقاهرة ، وحصل على الليسانس عام ١٩٢٤ .

● سافر الى فرنسا عام ١٩٢٥ ليدرس القانون بناء على توجيه من لطفى السيد لوالده الذى اشتكى له من عدم رغبة ولده فى المحاماة لاهتمامه بالأدب .

عودة الروح

● عاد توفيق الحكيم من بعثته فى فرنسا عام ١٩٣٠ ولم يتمكن من الحصول على الدكتوراه فى القانون لكنه كان مليئا بالحماس ليحدث فى الثقافة المصرية قلقا وانتعاشا .. يعيد اليها الروح .

كتب توفيق الحكيم : « عودة الروح » مواكبا لانبعاثه مصر الحضارية بعد ثورة ١٩١٩ وانطلق يبحث ويبدع ويوصل كل ما يتيح لهذه الأمة أن يجعل عودة روحها دائمة ومتجددة لا يلحقها الوهن ولا يصيبها الخمول .

● عين وكيلا للنائب العام فى طنطا عام ١٩٢٩

● نقل الى القاهرة عام ١٩٣٣ مديرا لادارة التحقيقات بوزارة المعارف بعد أن رأى النائب العام

أن عمله فى السلك القضائى يتعارض مع كتابته للأدب بعد الضجة التى آثارتها مسرحية « آهل الكهف » عند صدورها ·

● عندما آنشئت وزارة الشئون الاجتماعية عين عام ١٩٣٩ مديرا لادارة الدعاية والارشاد بها (وقد استحدثت هذه الوزارة بعد مقال كتبه الحكيم يقترحها)

● لم يشتهر حمار فى تاريخ الأدب العربى الحديث مثل حمار الحكيم الذى جلب له صيتا ومالا ·· وفتح أمامه خيالا وآفاقا · كتابه الأول « حمارى قال لى » ١٩٣٨ ، وفى كتابه الثانى كان الحكيم جريئا وكريما لأنه وضع اسمه بجواره تماما ، فجعل عنوانه « حمار الحكيم » (١٩٤٠) ·

● قدم استقالته عام ١٩٤٣ عندما دخل محمد عبد الوهاب مكتبه فى الوزارة يبحث عن الوزير عبد الحميد عبد الحق صديقه الذى كان لا يجلس فى مكتبه دائما مفضلا الجلوس مع الحكيم فى مكتبه . وقال عبد الوهاب للحكيم « وانت بتعمل ايه هنا قم انت فنان ازاى تقعد على مكتب حكومى ·· قدم استقالتك » ثم خاطب عبد الحميد عبد الحق بقوله «أنت وزير فنان تسمح له ازاى يبقى موظف » ·

● بعد أن قدم استقالته انطلق يكتب للاهرام والرسالة وآخر ساعة ودار الهلال الى أن التحق بالعمل كاتبا فى أخبار اليوم عام ١٩٤٥ ٠

● فى عام ١٩٤٥ ٠ أصبح توفيق الحكيم واحدا من كتاب ٠ أخبار اليوم ٠ وطوال سنوات ٤٦ و ٤٧ و ٤٨ توقف عن تأليف الكتب ٠ لكنه لم ينقطع عن كتاباته الأسبوعية فى جريدة أخبار اليوم ٠٠ انه يفكر ويتأمل ٠ حتى اذا ما أهل عام ١٩٤٩ ، فانه يقدم « الملك أوديب » ثم يتبعه بعشرين مسرحية ضمها كتابه « مسرح المجتمع » عام ١٩٥٠ وانتقل توفيق الحكيم ٠ كاتبا فى جريدة الأهرام منذ عام ١٩٦١ ٠

● فى عام ١٩٥١ استقال من عمله الصحفى بدار أخبار اليوم حيث عينه طه حسين وزير المعارف وقتها مديرا لدار الكتب المصرية ٠

● وعندما قامت الثورة عام ١٩٥٢ طالب اسماعيل القبانى وزير المعارف وقتها باخراجه من منصبه لكونه غير منتج ، ولكن الرئيس عبد الناصر اعترض على وزير المعارف فاستقال الوزير وظل عبد الناصر يفاخر بهذه الواقعة ويقول طردت وزيرا من أجل أديب ٠

● انتخب عضوا بمجمع اللغة العربية عام ١٩٥٤

● فى عام ١٩٥٦ عين عضوا متفرغا بالمجلس الأعلى للفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ·

● ظل كاتبا بالأهرام منذ عام ١٩٦١ ·

● وفى عام ١٩٥٩ تم اختياره مندوبا مقيما لمصر بهيئة اليونسكو فى فرنسا ·· ثم عين مقررا للجنة جوائز الدولة فى المجلس الأعلى للفنون والآداب واللعوم الاجتماعية ·· وكذلك مقررا للجنة الآداب والفنون بالمجالس القومية المتخصصة ··

● فى عام ١٩٦٤ كرمت الدولة توفيق الحكيم ، فأطلقت اسمه على مسرح فى قلب القاهرة ، جعلت شعاره · نحو الأرفع والأنفع فى الفن · وكجزء من رسالة مسرح الحكيم صدرت عنه مجلة شهرية رأس تحريرها الدكتور رشاد رشدى وكان عرض الافتتاح مسرحية توفيق الحكيم بيجمالون ·

عودة الوعى

● عندما أصدر توفيق الحكيم كتابه « عودة الوعى » (١٩٧٤) بعد وفاة عبد الناصر ، ومرور

أكثر من ٢٠ عاما على ثورة يوليو ، قال ان جسامة ما حدث فى مصر لم تكن قد تكشفت له بالصورة التى تعرض لها فى كتابه ·

ولكن الحقيقة أن الحكيم كان قد واجه هذه الظاهرة المؤسفة قبل ذلك بسنوات ففى مواجهة ظاهرة خنق الحرية واعطاء القانون آجازة كتب الحكيم مسرحية « السلطان الحائرة » (١٩٦٠) عن وجود احترام القانون والحرية والابتعاد عن استعمال السيف والعنف ·· وفى مواجهة القلق والتفكك فى المجتمع المصرى ، كتب توفيق الحكيم « بنك القلق » فى مطلع عام ١٩٦٧ ·

ولكن المحظور وقع فى نفس العام ·

● وظل رئيسا لنادى القصة وجمعية الأدباء منذ انشائها ، وقد انتخب رئيسا لاتحاد الكتاب عام ١٩٧٦ ··

● وفى عام ١٩٨١ تم اختياره عضوا فى هيئة مكتب المجلس الأعلى للثقافة ، واختير عضوا بمجلس الشورى منذ قيامه ورأس جلسة افتتاحه فى عام ١٩٨١ ، وفى عام ١٩٨٣ ·

نساء في حياته !

● ظل توفيق الحكيم أعزبا ـ بل كان عدوا للمرأة ـ الى أن تزوج فى عام ١٩٤٤ (وعمره ٤٦ سنة) زيجته السعيدة حيث أنجبت زينب ووحيده الموسيقى الراحل اسماعيل • الذى أصيب بالاكتئاب بعد وفاته منذ سنوات وقبلها وفاة زوجته •

ولكن ـ قبل الزواج ـ كم من النساء أحب توفيق الحكيم ؟

ـ أربعا « سنية » بنت الجيران أول تجربة عاطفية تزلزل قلب ووجدان التلميذ المراهق توفيق الحكيم عندما كان يسكن فى المنزل رقم ٣٥ بشارع سلامة فى حى السيدة زينب بالقاهرة •

وفى باريس أحب ـ وعمره ٢٧ سنة ـ •• سوزى بائعة تذاكر مسرح الأوديون • ثم وقع فى غرام « ساشا » أما حبه الرابع فهى « ناتالى » عندما احتواهما قطار فى طريق عودته من سالزبورج الى باريس • بعد أن حضر مهرجانها الموسيقى •

فتوفيق الحكيم لم يكن حقيقة عدوا للمرأة • فقد

اعترف بأنه أحب ٤ نساء ثم أحب زوجته شريكة عمره ووحى فنه ٠

● ليس هناك من كاتب عربى اهتم الغــرب بأدبه مثل توفيق الحكيم الذى ترجمت أعماله الى عدد كبير من اللغــات الانجليزية والفرنسية والايطاليــة والألمانيــة والروسية والاسبانية والعبرية والسويدية والرومانية ٠٠ وقد صدرت روايته عودة الروح بثلاث لغات أجنبية ترجمت اليها هى الروسية عام ١٩٣٥ والفرنسية عام ١٩٣٧والانجليزية عام ١٩٤٢ ٠٠ كمــا تــرجمت مسرحية شهر زاد الى الفرنسية عام ١٩٣٦ والانجليزية عام ١٩٤٥ ٠٠ أما رواية يوميــات نائب فى الارياف فقد ترجمت الى عدة لغات ٠٠ هى الفرنسية عام ١٩٢٩ والعبرية عام١٩٤٥ ٠٠ وقد قام بترجمتها الىالانجليزية الكاتب الوزير الاسرائيلى بعد ذلك آبا ايبان ، ونشرت هناك عام ١٩٤٧ وكان يعمل وقتها فى خدمة الجيش البريطانى بالقاهرة والاسبانية عام ١٩٤٨ والسويدية عام ١٩٥٥ ولألمانية عام ١٩٦٢ ٠

وترجمت مسرحية أهل الكهف الى ثلاث لغات ٠٠ هى الفرنسية عام ١٩٤٠ والايطالية مرتين أحدهما عام ١٩٤٥ والثانية عام ١٩٦٢ ثم الاسبانية عام ١٩٤٦

•• وأيضا ترجمت «عصفور من الشرق» الى الفرنسية مـرتين الأولى عام ١٩٤٦ والثانيـة عام ١٩٦٠ •• وترجمت الى الفرنسية كذلك هذه الأعمال : بيجماليون والملك أوديب وسليمان الحكيم ونهر الجنون ورحلة الى الغد والسلطان الحائر ويا طالع الشجرة •• كمـا ترجمت كثرة من مسرحيـاته القصـيرة وذات الفصـل الواحد الى لغات عدة •

وإذا كانت خشبة المسرح المصرى منذ عام ١٩٢٤ قد شهدت عديدا من الأعمال المسرحيـة الممثلة لتوفيق الحكيم منذ قدم له اخوان عكاشـة هذه المسرحيـات : العريس وخاتم سليمان عام ١٩٢٤ ، وعلى بابا والمرأة الجديدة عام ١٩٢٦ حتى آخر مسرحية عرضت له عام ١٩٨٦ وهى ايزيس التى آخرجهـا للمسرح القـومى كرم مطاوع وشاهد عرضها فى ليلة الافتتاح الرئيس محمد حسنى مبارك •• وكان توفيق الحـكيم يجلس بجانبه فى مقصورته خلال العرض فان مسرحيات توفيق الحكيم قد شقت طريقها الى العالمية ليس نشرا فحسب وانما تمثيـلا •• ففى سـالزبورج قدمت فرقة مسرح أكاديميـة الموزاريتوم مسرحيـة بيجماليـون باللغـة الالمانيـة عام ١٩٥٣ ، وفى عام ١٩٥٥ قدمت الاذاعة البريطانية عرضا تمثيليا لمسرحية شهرزاد •

كما عرض التليفزيون الفرنسى مسرحية السلطان الحائر • كما قدم مسرح الكوميدى دى بارى مسرحيته شهر زاد •• كذلك عرضت مسرحياته فى باليرمو وستكهولم وغيرها من العواصم •

فى آخر صفحات كتابه « الحكيم بخيلا » •• سأله مؤلف الكتاب كمال الملاخ ماذا رأيت خلال رحلة العمر ؟

قال توفيق الحكيم : ان رحلة العمر ليست نزهة خلوية ولا هى رحلة بحرية فوق يخت يتهادى على ماء صاف • وحتى اذا تيسر ذلك كله أو بعضه لعدد قليل من رجال الفن والأدب • فان المشكلة دائما هى حاصل الرحلة ونتيجتها التى لا يمكن أن ترضى صاحبها • ولو سئلت عن رحلة عمرى لقلت اننى أتمنى أن تبدأ الرحلة من جديد • لا فى أولها •• بل على الأقل من ثلاثين عاما أو عشرين • حتى أعيد صياغة برنامجها وأحقق ما كنت أحلم به •• ولكن هيهات ••

مسرحيات

- أهل الكهف (١٩٣٣)
- شهر زاد (١٩٣٤)
- براكسا ـ أو مشكلة الحكم (١٩٣٩)
- بجماليون (١٩٤٢)
- سليمان الحكيم (١٩٤٣)
- الملك أوديب (١٩٤٩)
- مسرح المجتمع ـ ٢١ مسرحية (١٩٥٠)
- الأيدى الناعمة ـ (١٩٥٩)
- ايزيس (١٩٥٥)
- الصفقة (١٩٥٦)
- المسرح الممنوع ـ ٢١ مسرحية (١٩٥٦)
- لعبة الموت (١٩٥٧)
- أشواك السلام (١٩٥٧)
- رحلة الى الغد (١٩٥٧)

- السلطان الحائر (١٩٦٠)
- يا طالع الشجرة (١٩٦٢)
- الطعام لكل فم (١٩٦٣)
- شمس النهار (١٩٦٥)
- مصير صرصار (١٩٦٦)
- الورطة (١٩٦٦)
- بنك القلق ـ رواية مسرحية « مسرواية » (١٩٦٧)
- مجلس العدل ـ مسرحيات قصيرة
- الدنيا رواية هزلية (١٩٧٤)
- الحمير (١٩٧٥)

روايات وقصص

- عودة الروح (١٩٣٣)
- يوميات نائب فى الأرياف (١٩٣٧)
- عصفور من الشرق (١٩٣٨)
- أشعب (١٩٣٨)
- راقصة الصعيد (١٩٣٩)
- نشيد الانشاد (١٩٤٠)

- حمار الحكيم (١٩٤٠)
- الرباط المقدس (١٩٤٤)
- عهد الشيطان (١٩٣٨)
- سلطان الظلام (١٩٤١)
- شجرة الحكم ـ صور سياسية
- عدالة وفن (١٩٥٢)
- أرض الله (١٩٥٣)
- ليلة الزفاف ـ قصص قصيرة

سير ومقالات وفكر

- محمد ـ سيرة حوارية (١٩٣٦)
- تحت شمس الفكر ـ مقالات
- حمارى قال لى ـ مقالات
- من البرج العاجى (١٩٤١)
- تحت المصباح الأخضر (١٩٤٢)
- زهرة العمر ـ سيرة ذاتية
- فن الأدب (١٩٥٢)
- عصا الحكيم ـ خطرات حوارية

- تأملات فى السياسة ـ فكر
- التعادلية ـ فكر (١٩٥٥)
- رحلة الربيع والخريف ـ شعر
- سجن العمر ـ سيرة ذاتية (١٩٦٤)
- رحلة بين عصرين ـ ذكريات
- حديث مع الكوكب ـ حوار فلسفى (١٩٧٤)
- عودة الوعى ـ ذكريات سياسية (١٩٧٤)
- فى طريق عودة الوعى
- ثورة الشباب (١٩٧٥)
- بين الفكر والفن (١٩٧٦)
- أدب الحياة (١٩٧٦)
- مختار التفسير (١٩٧٧)
- تحديات سنة ٢٠٠٠ (١٩٨٠)
- ملامح داخلية :حوار مع المؤلف (١٩٨٢)
- التعادلية مع الاسلام (١٩٨٣)
- الأحاديث الأربعة (فكر دينى)
- مصر بين عهدين ـ ذكريات (١٩٨٣)
- شجرة الحكم السياسى (١٩٨٥)

أهم الكتب التي صدرت عنه :

- الحكيم الفنان الثائر ٠٠ للدكتور اسماعيل أدهم
- توفيق الحكيم اللامنتمي ٠٠ محمد آحمد عطية
- الحكيم بخيلا ٠٠ كمال الملاخ
- مسرح توفيق الحكيم ٠٠ الدكتور محمد مندور
- المصادر الكلاسيكية في آدب الحكيم ٠٠ للدكتور أحمد عثمان
- الحكيم فنان الفرحة وفنان الفكر ٠٠ للدكتور على الراعى
- الحكيم الذى لا يعرفه آحد ٠٠ للدكتور رمسيس عوض
- القصص الدينى ٠٠ للدكتور ابراهيم درديرى
- ٨٥ شمعة فى حياة الحكيم ٠٠ محمدالسيد شوشة
- كهف الحكيم ٠٠ فتحى العشرى
- توفيق الحكيم كاتبا مسرحيا ٠٠ على درويش
- ثورة المعتزل ٠٠ غالى شكرى
- الوعى المفقود ٠٠ محمو عودة
- عدا الأبحاث والمقالات فى الكتب والاعداد الخاصة من المجلات الأدبية ٠ لمشاهير كتاب الشرق والغرب ٠

● صدر للمؤلف ●

مجموعات قصصية :

- بلا نهاية (قصص) دار نشر الثقافة بالاسكندرية
- قصص قصيرة جدا (قصص) دار الكتب الجامعية بالاسكندرية
- ترنيمة حب (قصص) دار الكتب الجامعية بالاسكندرية
- قلب الحب (قصص) دار الشعب
- كلمة حلوة (قصص) الهيئة العامة للكتاب
- رحلة صيد قصيرة (قصص) الهيئة العامة للكتاب
- دافيد كوبر فيلد (حوار تمثيلى) دار نشر الثقافة بالاسكندرية
- آه يا بلد (مجموعة قصص) مكتبة مدبولى

دراسات نقدية

● محمود تيمور وفن الأقصوصة العربية	دار المعارف
● فن القصة عند تيمور	دار المعارف
● الجنس والواقعية فى القصة	الهيئة العامة للكتاب
● أدباؤنا والحب	دار الشروق
● عالم تيمور القصصى	الهيئة العامة للكتاب
● الأم ·· حكايات وقصص	كتاب أخبار اليوم
● نبضات القلوب وأدباء الأقاليم	دار الشعب
● الأم (الطبعة الثالثة)	الهيئة العامة للكتاب
● عشرة آلاف خطوة مع الحكيم	الهيئة العامة للكتاب

دراسات صحفية واعلامية وسياسية

● من دار المعرفة الجامعية بالاسكندرية

- الرأى العام والمخطط الصهيونى الطبعة الثانية
- صحافة المتقبل والتنظيم السياسى الطبعة الثالثة
- الاعلام الدولى والدعاية
- الاعلام والرأى العام والقهيلا الطبعة الثانية
- القهيلا وأسرار المنظمات الصهيونية الهيئة العامة للكتاب
- الاعلام والانسان المعاصر
- صحافة الاصرار

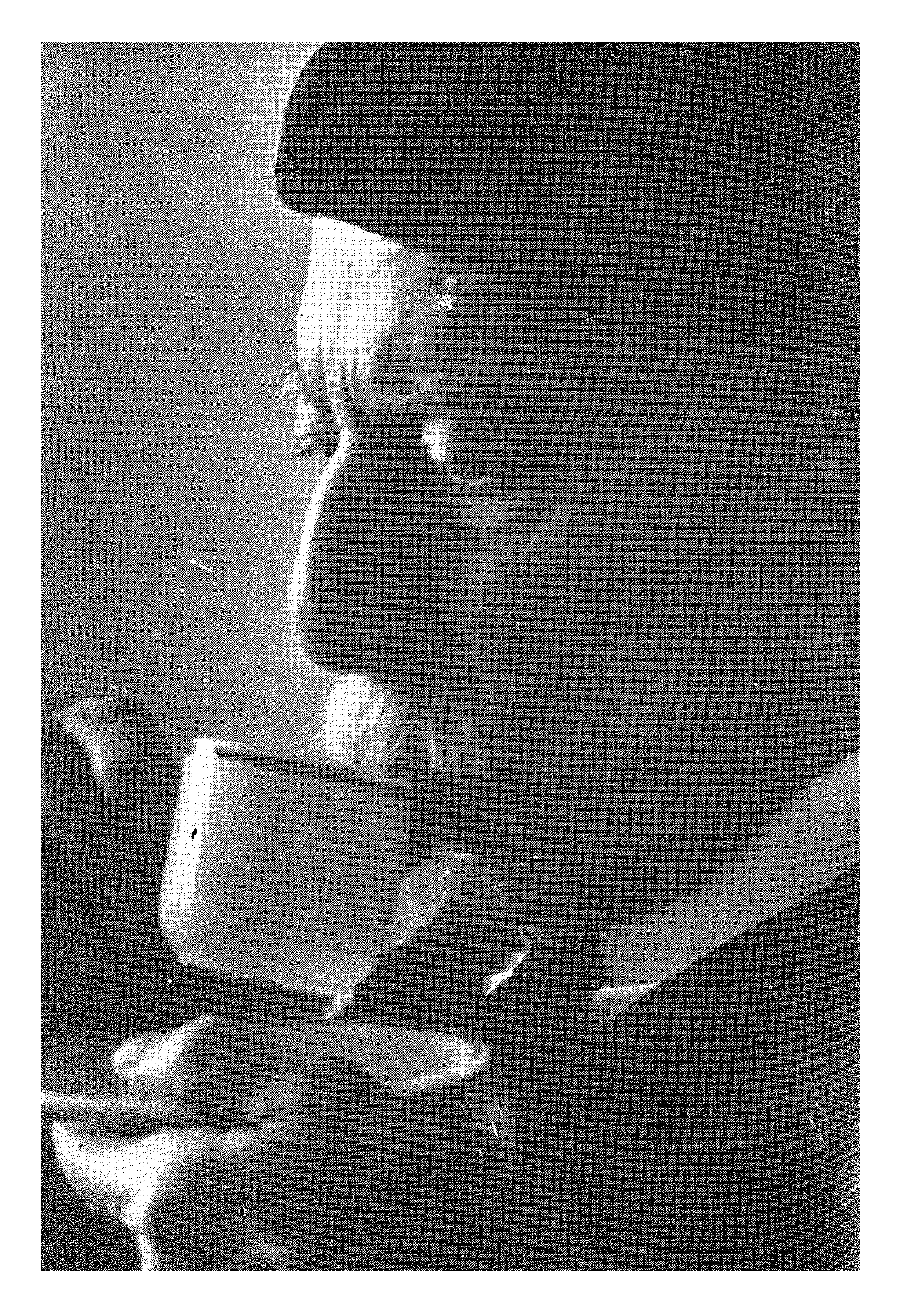
● الصحافة الاقليمية والتنظيم السياسى دار الكتب الجامعية
● الصهيونية سلسلة « كتابك »
● صحافتنا الاقليمية والاسكندرية هيئة الكتاب
● قصة صحافة المستقبل الهيئة العامة للاستعلامات
● أكتوبر وال ١٠٠ يوم من أجل السلام الهيئة العامة للاستعلامات

روايات

● رحلة خارج اللعبة (رواية فى أقاصيص) الهيئة العامة للكتاب
● أرنب كالآخرين
● رحلات حب سرية
● رحلة ٤٦
● ميريلاند
● الديك

رحـلات

- رحلة الأحلام فى عالم الأساطير (طوكيو)
- رحلة الأحلام فى عالم الغرائب (تايلاند)
- رحلة الأحلام فى عالم العجائب (هونج كونج)
- رحلة فوق الأمواج (موانى البحر المتوسط)
- أوراق طائرة فى أوروبا الحائرة (عواصم أوربا)



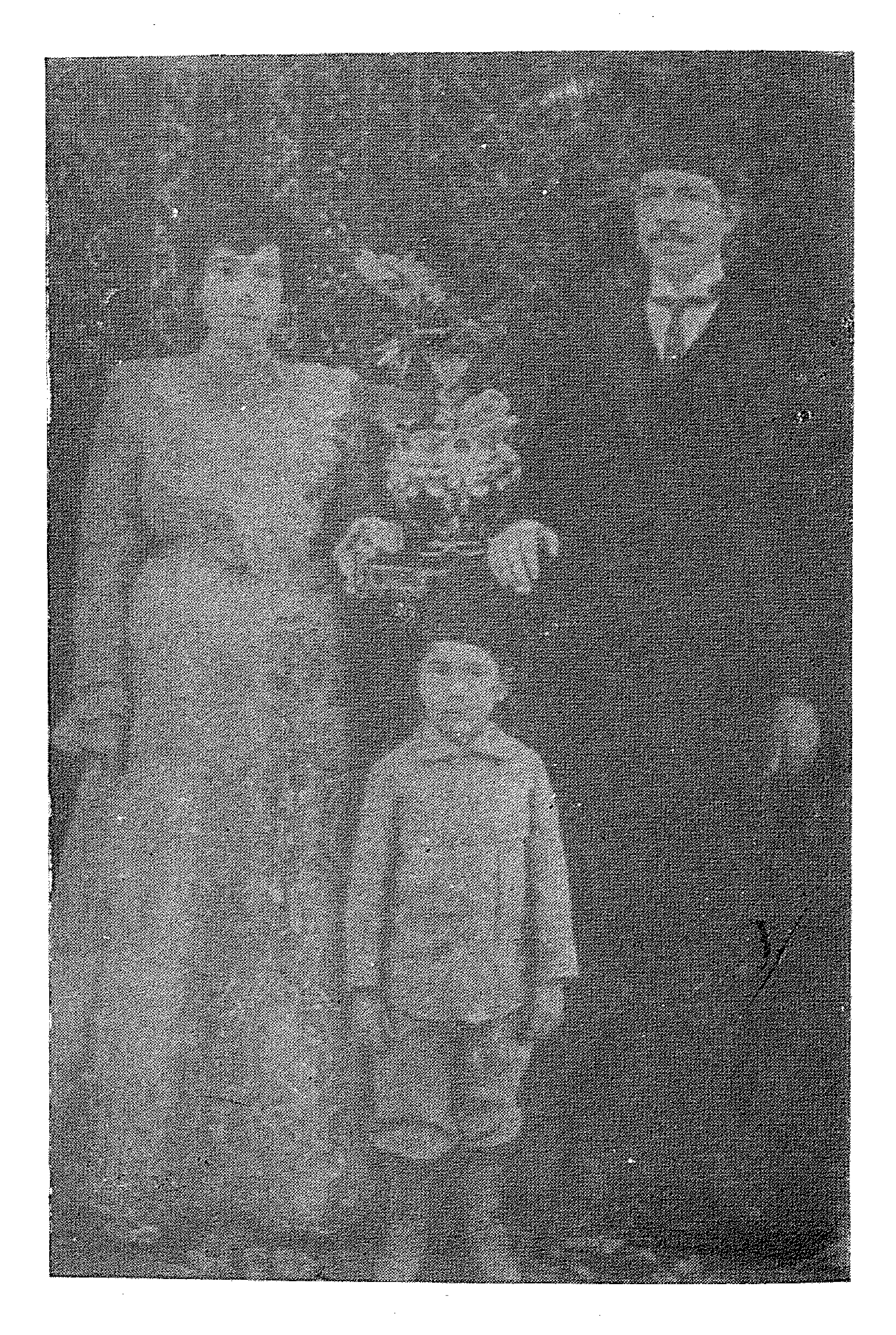
□ العائلة □



الوالد : اسماعيل الحكيم

الوالدة : اسماء البسطاسي

ابنته « سوزي » أو زينب الحكيم وقرينها محيي فتحي.
والحكيم يتفاءل دائما بالسيدة زينب : حاميته .



صورة نادرة للحكيم وهو طفل بين والدته وأبيه (١٩٠٣) بعد أن عثرت عليها بصعوبة .. فقد ورث عن أمه خيرها وشرها . وعن أبيه الخبث !!



أم الحكيم .. بركان ثائر



● أم الحكيم .. شخصية قوية عنيفة .



● أم الحكيم .. صورة نادرة قبل وفاتها .



هنا ... كان يسكن الحكيم في ٣٥ ش سلامة في حي السيدة زينب



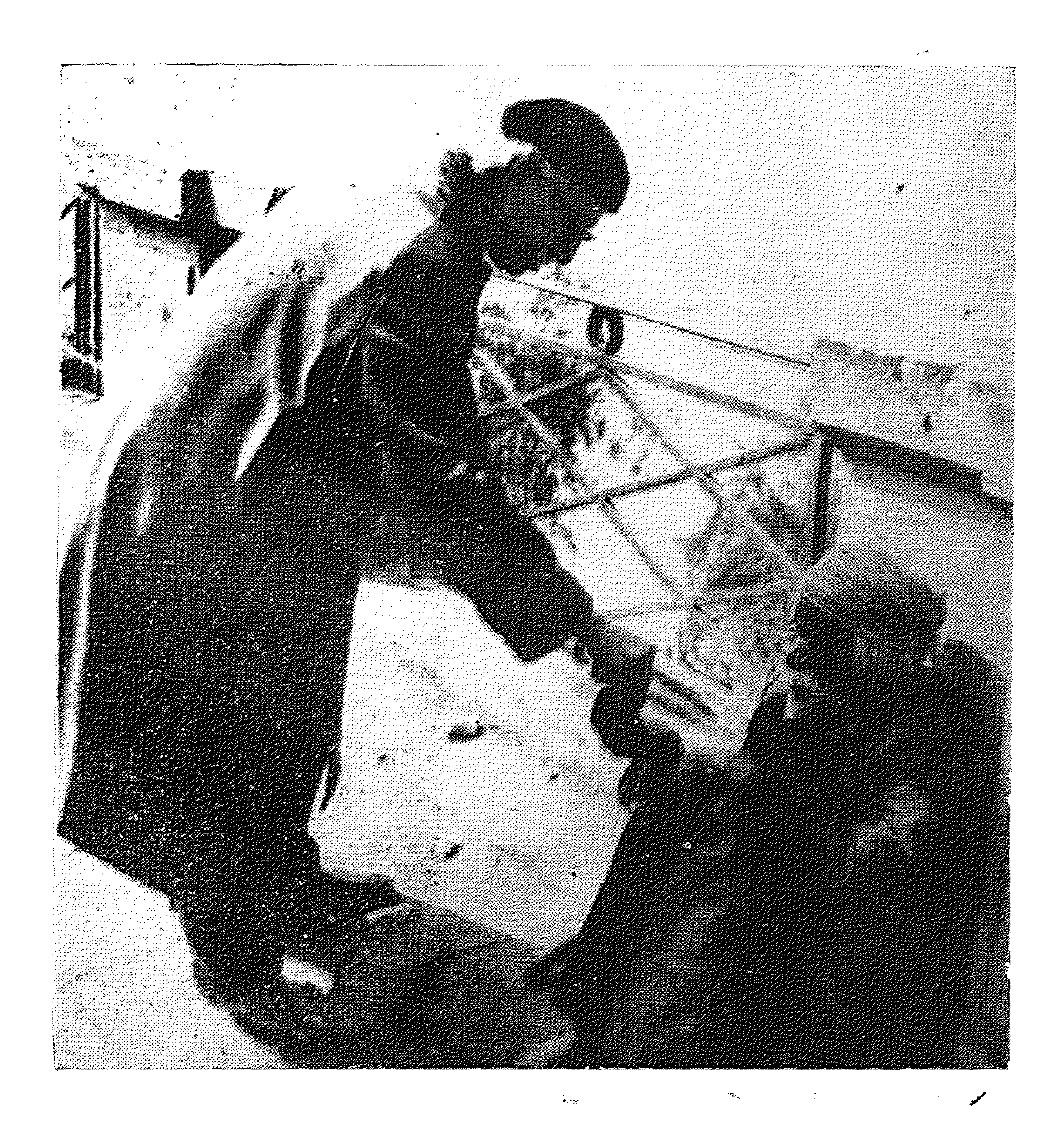
وهنا .. في باريس في شارع بلبور .. حيث سجل حكايات حبه لسوزي وساشا



ليس هذا هو كلب الحكيم .. وانمـــا .. كلبى أهل الكهف .. الحكيم مصادفة على الكورنيش .



لم يستطع الحكيم أن يعبر شارع الكورنيش الا بمســـاعدة شرطى المرور .. ومع ذلك فقد هرول الحكيم مسرعا .



●● صدق أو لا تصدق .. ولكنها حقيقة الحكيم يدفع قرشا «حسنة» لهذا الرجل على فكرة لم يجد الحكيم خمسة قروش ، فاقترضها مني !!!



وجد الحكيم نفسه محاصرا بمجموعة من تلاميذ المدارس ٠٠ زهور المستقبل ٠٠ يمدون اليه أيديهم صائحين « جدو الحكيم » ٠ وقد ارتسمت على وجهه علامات السعادة ٠



المرأة عند الحكيم مخلوق عجيب !!

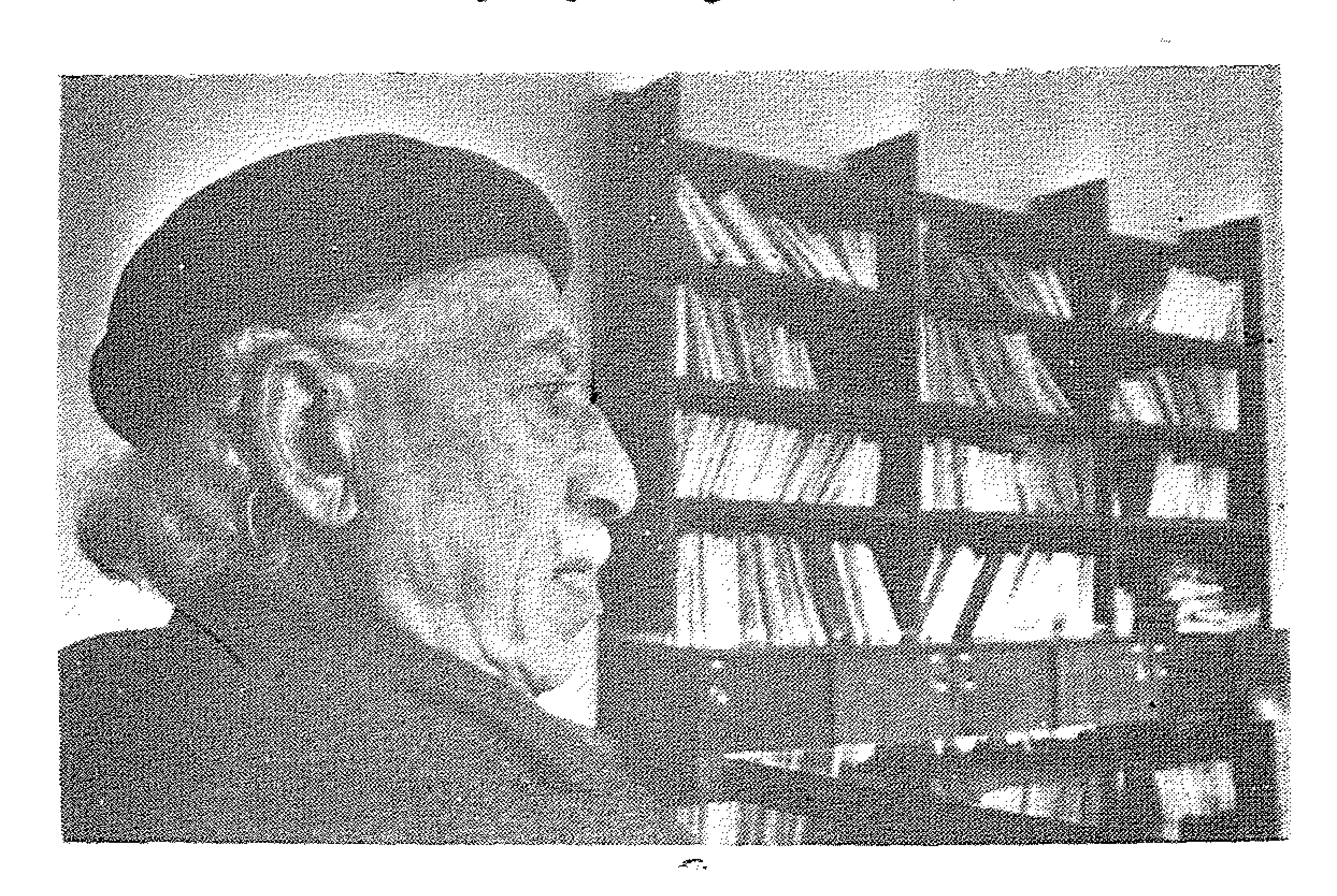




الحوار مع الحكيم ممتع .. وشيق



الحكيم فى خطواته على كورنيش النيل .. متأملا



فى أيامنا .. كانت البطولة فى « القلم » الأفكار .. أما اليوم وغدا ..
فهي في « الأجوال » !!!





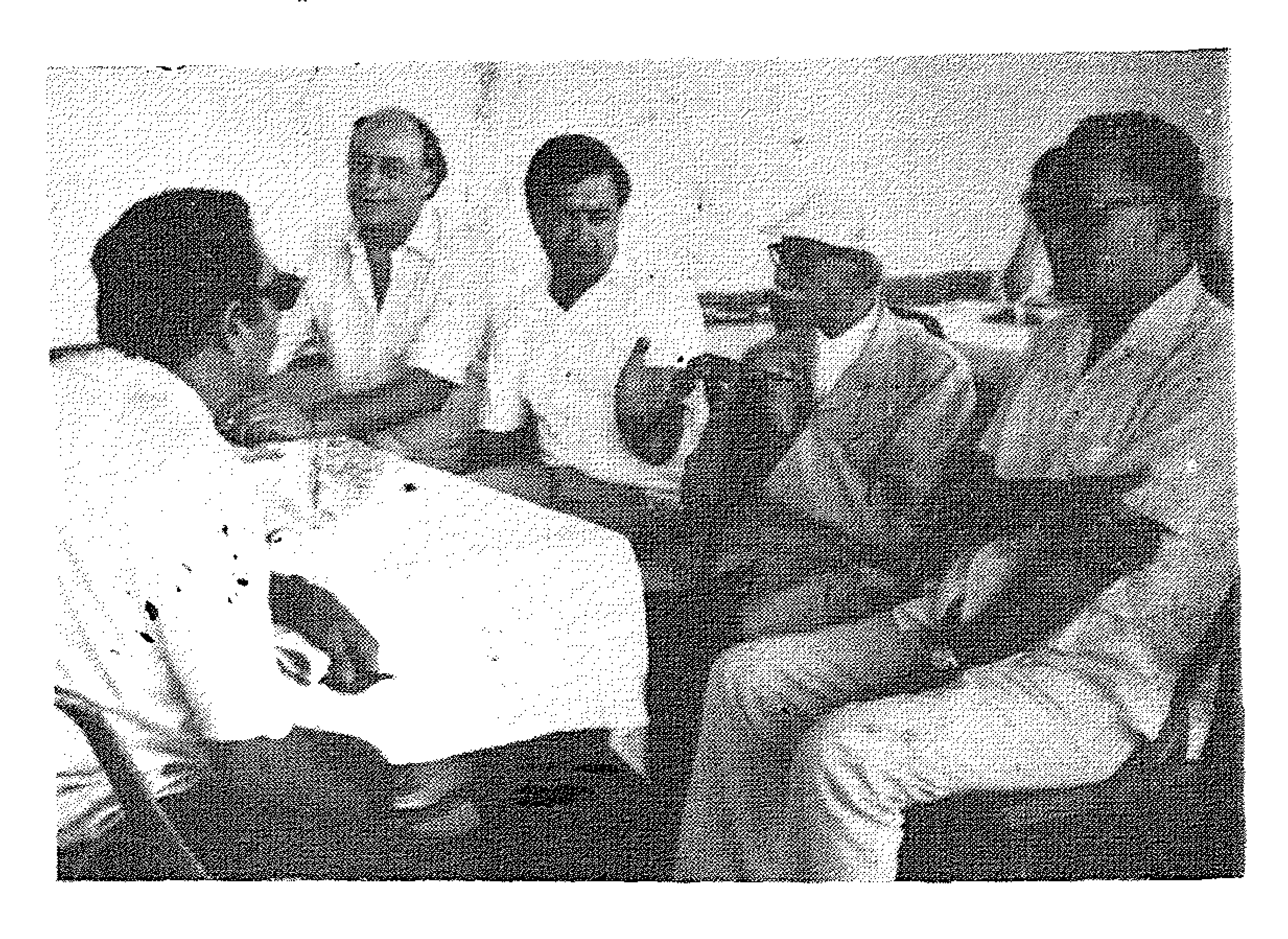
قصص وحكايات مع الحكيم فى ندوته الصيفية فى « بترو » الذى أصبح الآن أثرا بعد أن تم هدمه .. وبجواره نجيب محفوظ .. وأنا .
الصورة التقطت عام ١٩٦٢ .



قطتان كأنهما أسدا قصر النيل .. فوق كتفى الحكيم .



ضحكة نادرة للحكيم .. بعد أن روى قصة القطتين



مع عبد الرحمن الشرقاوى .. والمخرج الروسى .. وحوار حول سيناريو فيلم محمد رسول الله ..



عملاقا ندوة « بترو » الحكيم وتيمور



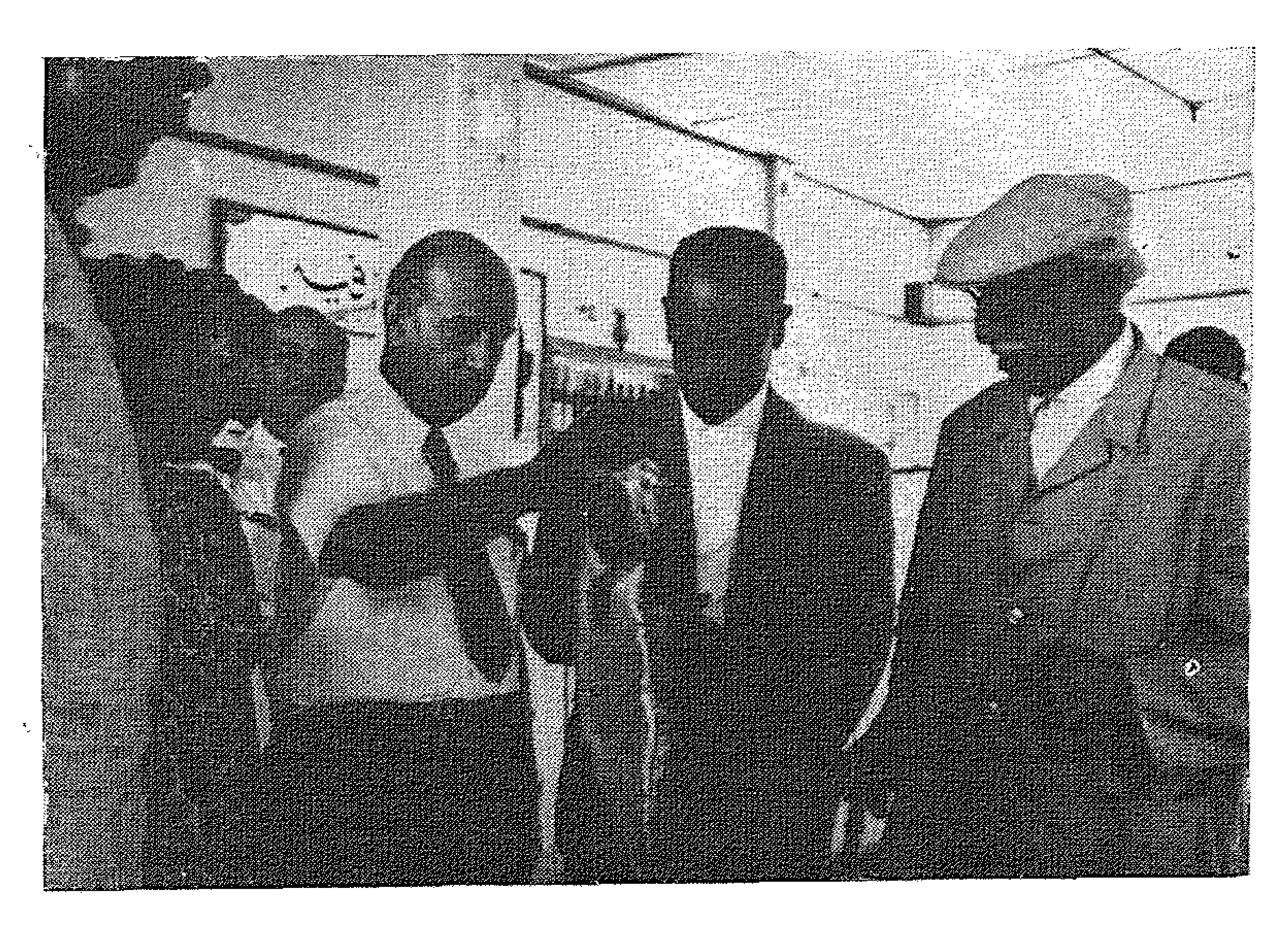
الحكيم .. يفرك القرش في يد ثروت أباظة



الحكيم وتيمور في « بترو » مع بعض أدباء الاسكندرية



الحكيم ونجيب محفوظ في صالون الاسكندرية الثقافي الذى كان د. نعيم أبو طالب محافظ الاسكندرية يقيمه في منزله كل شهر .



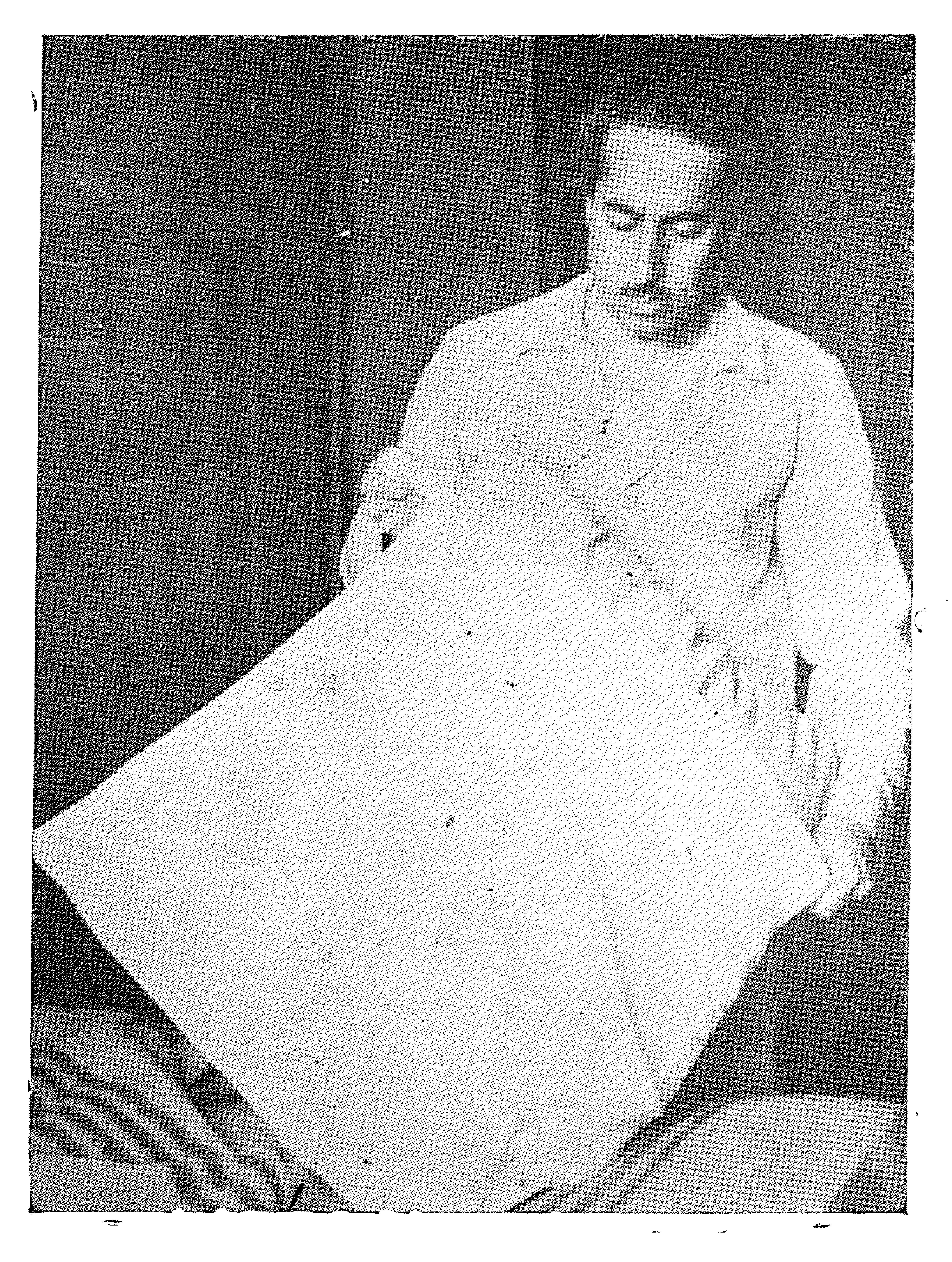
الحكيم .. ونجيب محفوظ . وثروت أباظة .. يعاينون أصناف السمك مع صاحب « بترو » .. صورة للذكرى .. وليس لتناول الطعام !!



● الحكيم يدلى بحديث صحفى للطالب حسن فتحى لمجلة مدرسة الطبرى التى فازت بالجائزة الأولى على مستوى الجمهورية



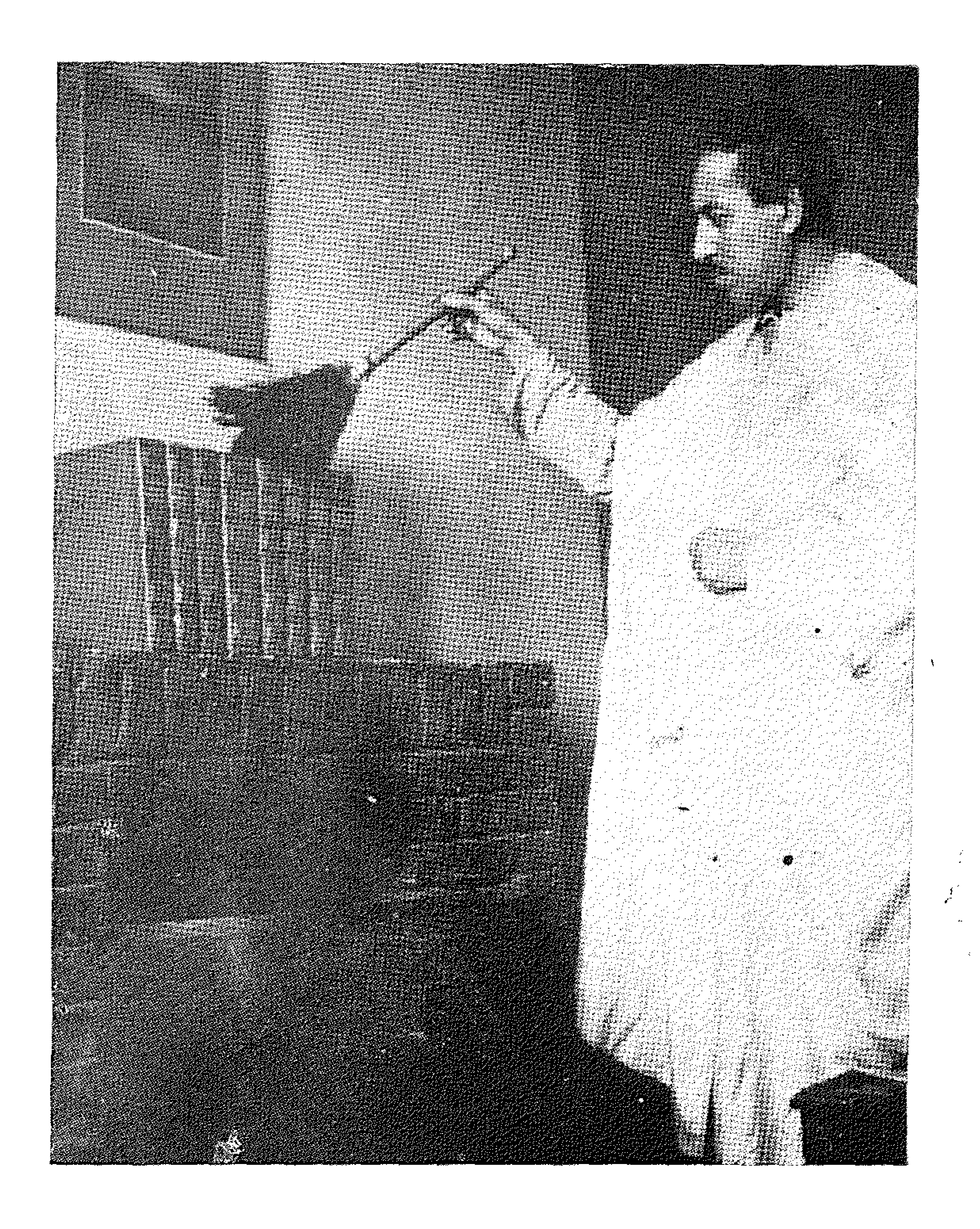
الحكيم مع سيف وائلى



الحكيم يقوم باعداد وترتيب سريره



الحكيم عندما كان عزبا .. معذبا



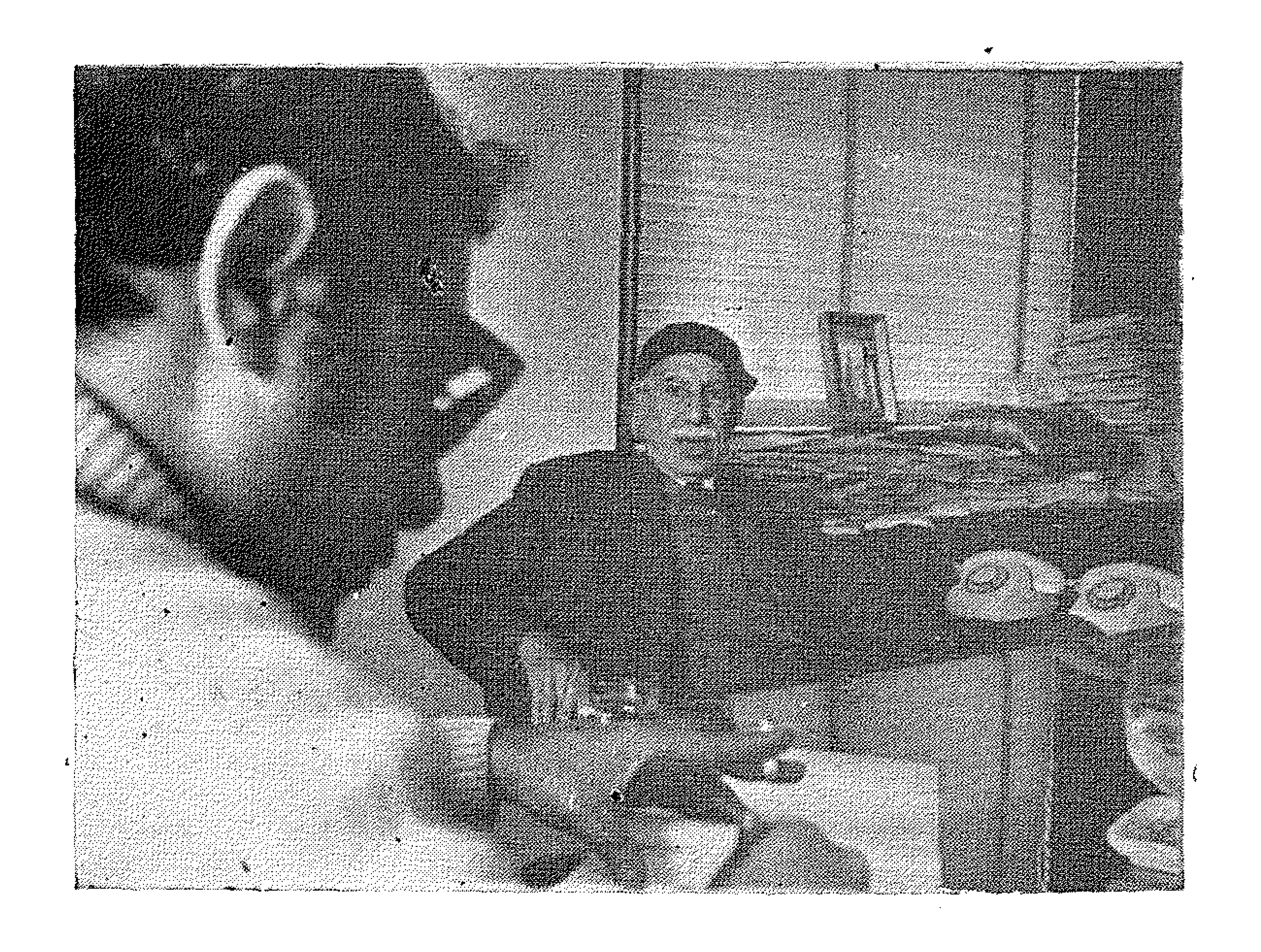
... وينظف مكتبته بنفسه



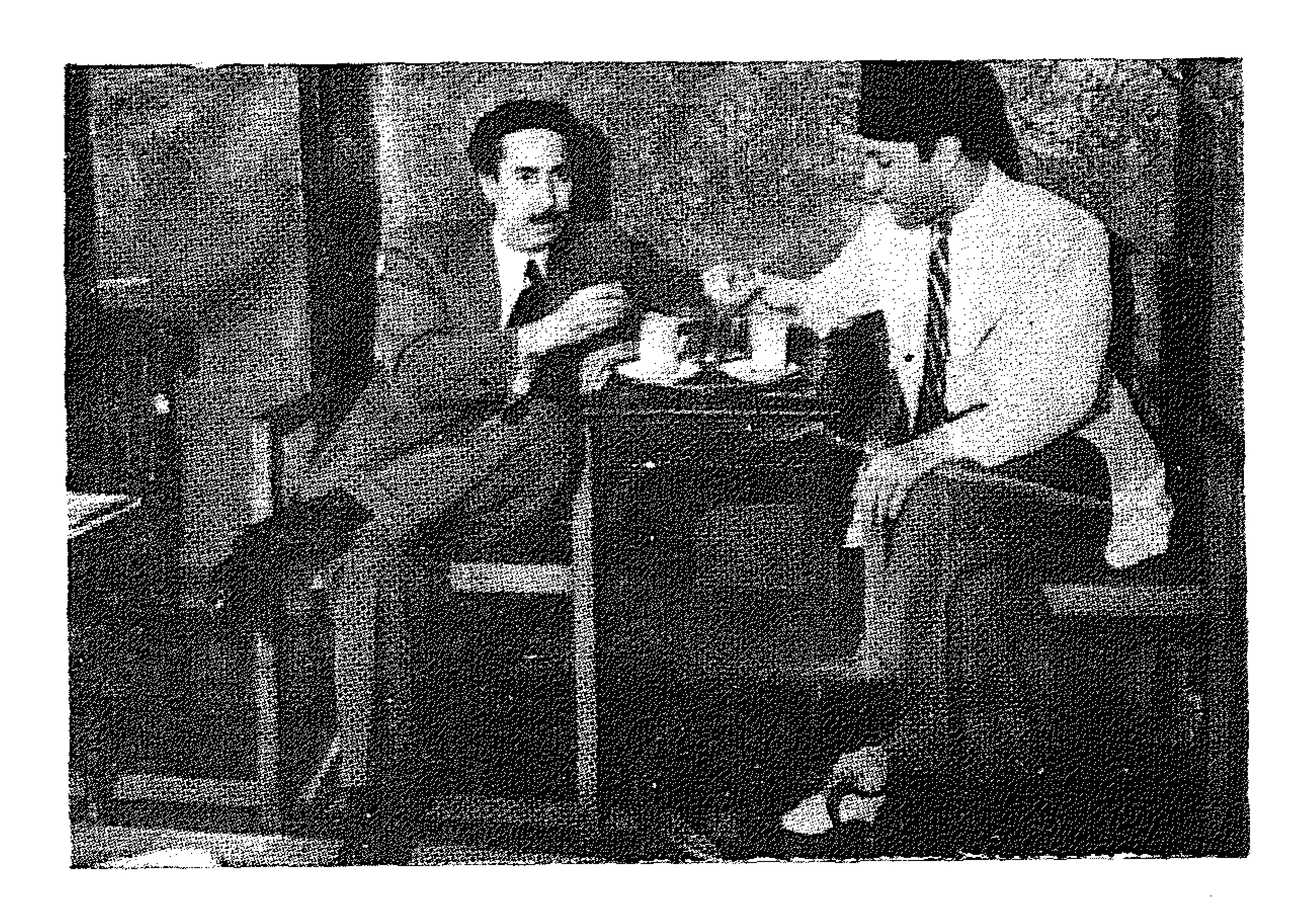
متعة الحكيم .. وهو يصنع لنفسه فنجان القهوة المضبوط !!



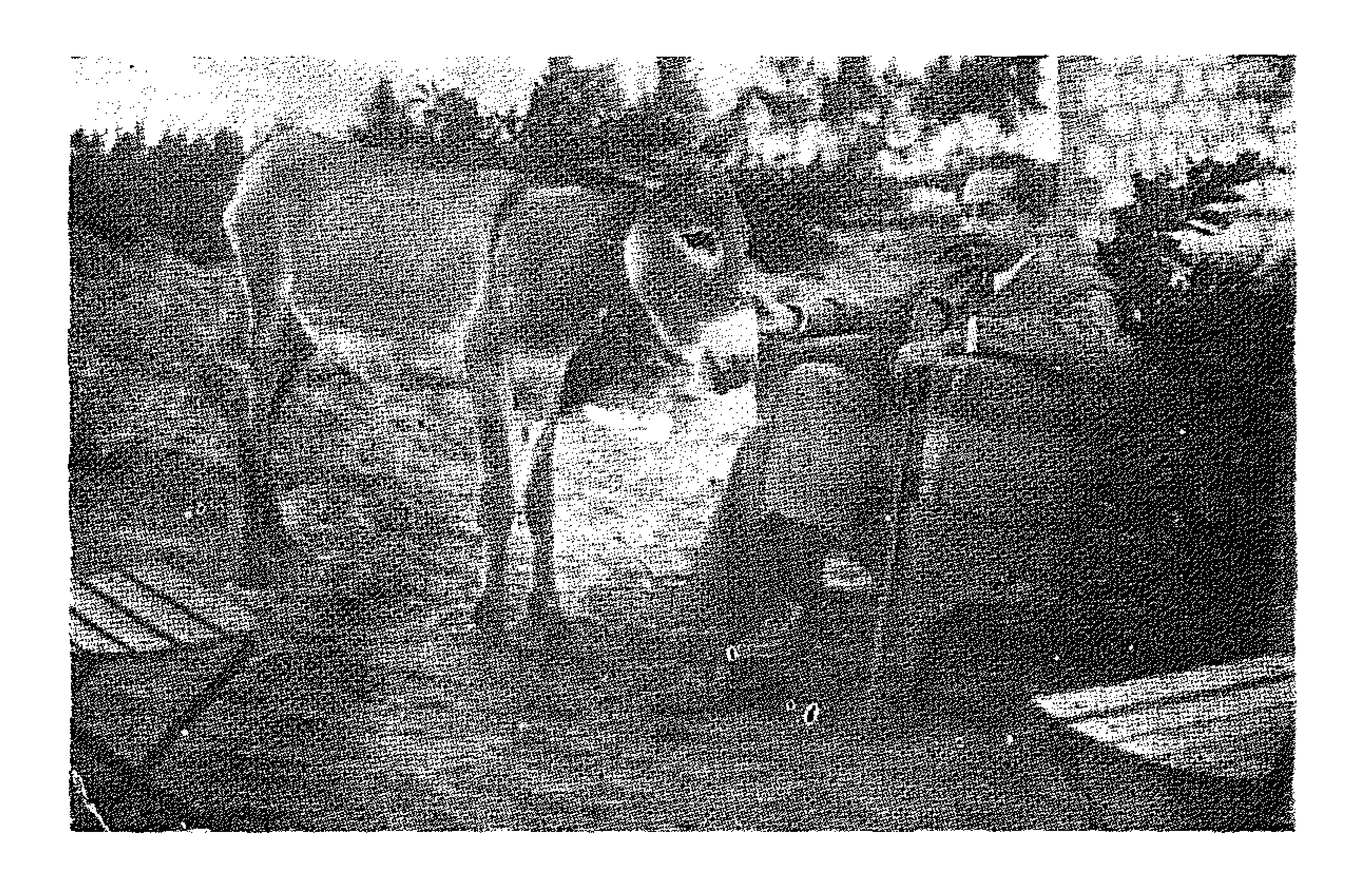
الحكيم مع سيمون دي بوفوار



مع الحكيم في صومعته بالأهرام .. وحوار حول فلسفة الموت .. والحياة .



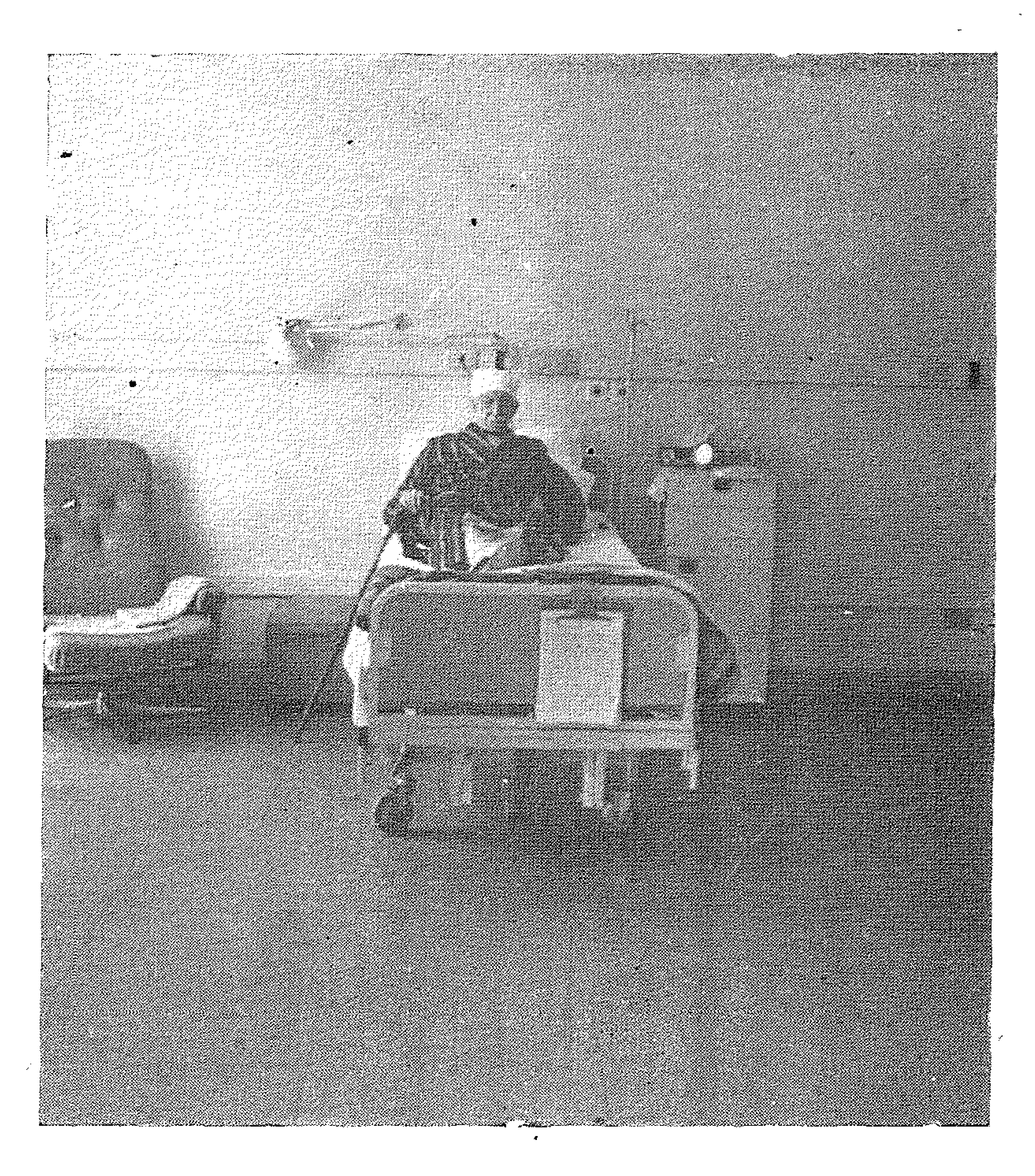
صورة نادرة للحكيم ومحمد عبد الوهاب وحوار حول صينية البطاطس



الحكيم ٠٠ في لقطة نادرة مع صديقه الفيلسوف



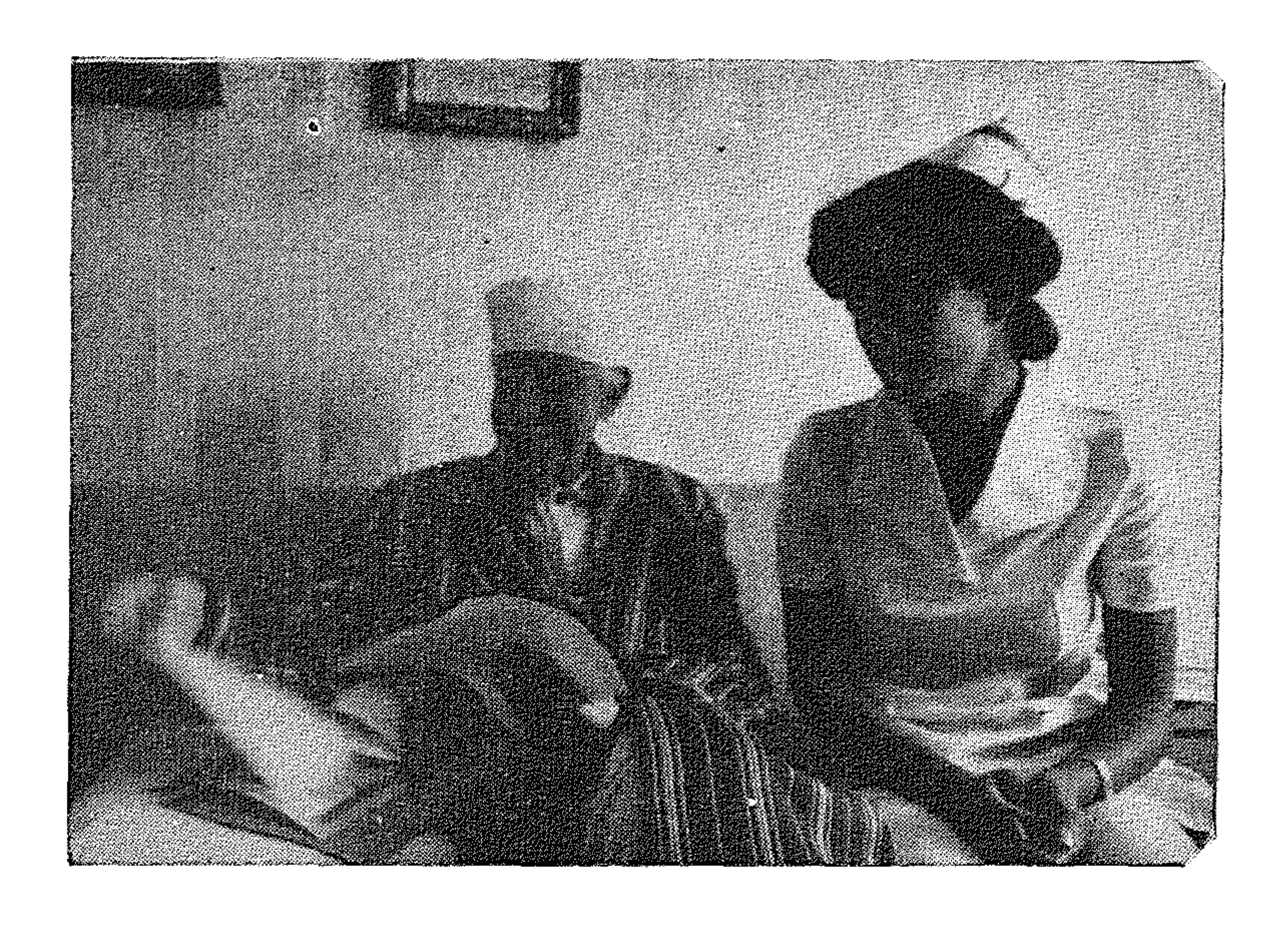
الحكيم يطفئ الشمعة ٨٦ ، في احتفال الأهرام . وبجواره عبد الله عبد الباري .



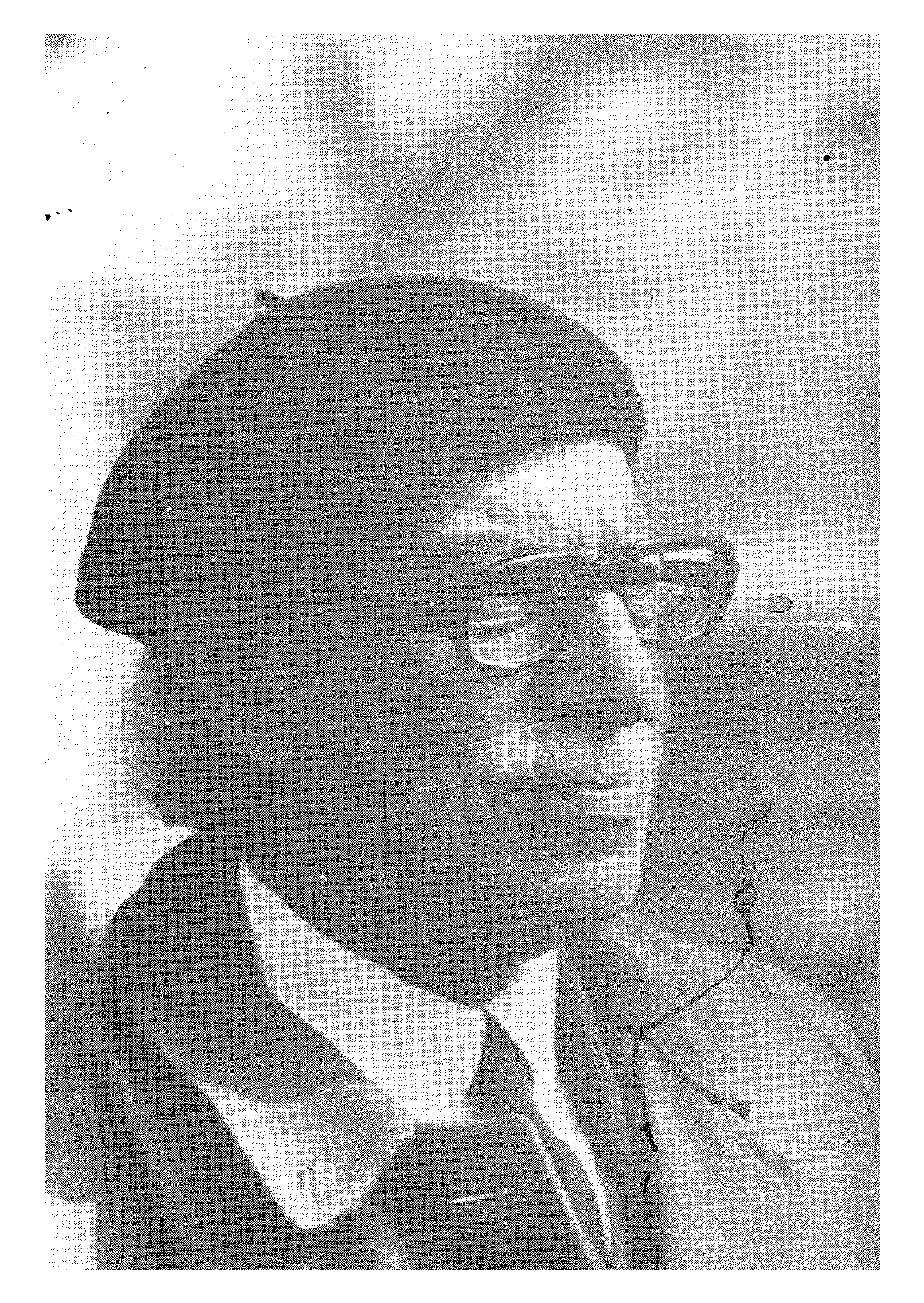
الحكيم .. في سرير الطوارىء داخل غرفته بالمستشفى .



لحظة اعياء .. وابنته زينب بجواره







الحكيم .. مع رؤساء مصر



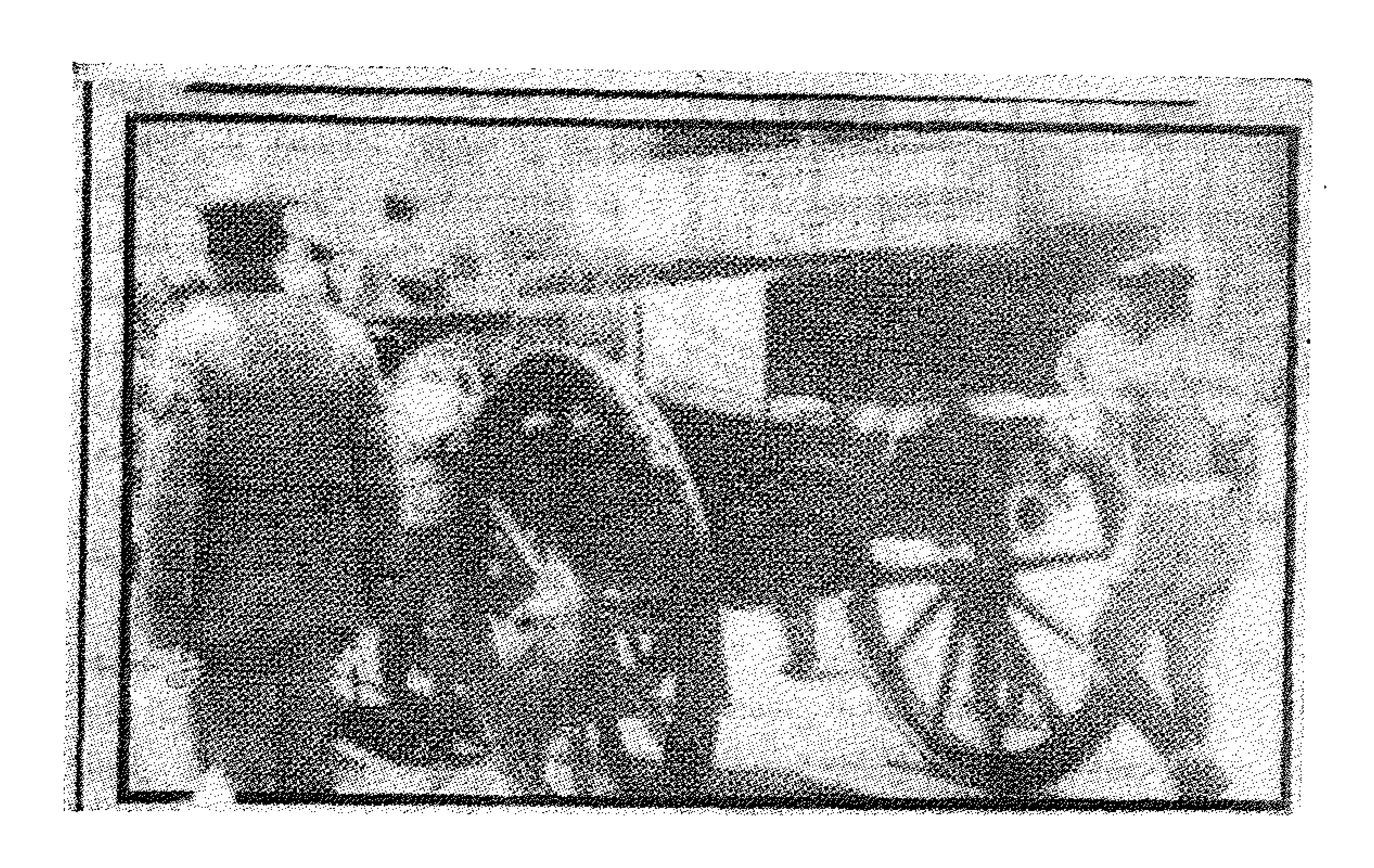
في لقاء بالرئيس الراحل جمال عبد الناصر



... ومع الرئيس الراحل أنور السادات



الرئيس مبارك في حوار ضاحك معه ويظهر في الصورة على اليمين
د. أحمد هيكل وزير الثقافة . والدكتور سمير سرحان رئيس هيئة الكتاب



جثمان العملاق توفيق الحكيم على عربة عسكرية في موكب وداعه بالقاهرة

... ورحل الحكيم

- فاضت روحه فى العاشرة مساء يوم الأحد ٢٦ يوليو ١٩٨٧ فى مستشفى المقاولون العرب . عن عمر يناهز التاسعة والثمانين وكان الأديب الكبير قد أصيب بنوبة مرضية قبل وفاته بشهرين ونقل على أثرها الى مستشفى مصر الدولى فى ٢ يونيو ٨٧ ، ثم نقل الى مستشفى المقاولون فى ٦ يوليو الحالى مصابا بالتهاب رئوى ، وهبوط حاد بالقلب نتيجة لالتهاب عضلة القلب والغشاء المحيط بها ، ثم نقل الى غرفة الانعاش ، ولفظ أنفاسه فى حضور ابنته زينب .

- نعت رئاسة الجمهورية الفقيد فى بيان جاء فيه :

ان مصر قد فقدت علما شامخا ، وشخصية فذة برحيل الأديب الكبير توفيق الحكيم الذى ظل معبرا عن نبض الشعب المصرى لمدة تزيد على ستين عاما أثرى خلالها الأدب العربى والعالمى وكان نموذجا للمفكر الذى يتفاعل مع حياة العصر ، وينفعل بنبض الجماهير ، وتذكر للفقيد العظيم العطاء المستمر حتى آخر لحظة فى حياته الحافلة التى أثرت فى الأجيال المتعاقبة . رحم الله الفقيد الراحل الذى ستبقى أعماله العظيمة رصيدا باقيا على مر السنين .

- وكان قد تم ابلاغ الرئيس حسنى مبارك فى مقر اقامته بأديس أبابا بوفاة توفيق الحكيم ، وأمر الرئيس بتشييع جنازته عسكريا تكريما لعطائه لمصر وللفكر العربى والانسانى .

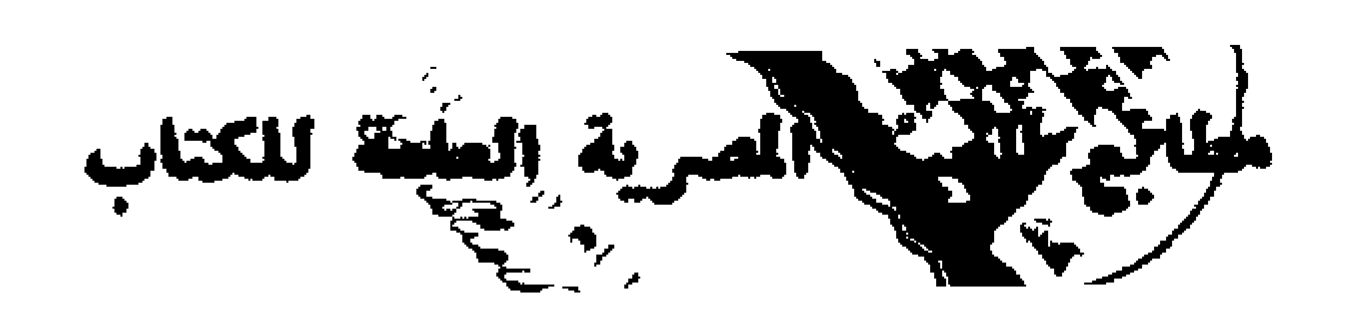
- وشيعت مصر بعد ظهر يوم الثلاثاء ٢٨ يوليو ١٩٨٧ ، جنازة الحكيم فى موكب مهيب ، شهده كبار رجال الدولة من رئيس الوزراء والوزراء ورجال الأدب والفكر ، وعدد كبير من سفراء الدول العربية والأجنبية ، وقد وضع جثمانه ملفوفا فى علم مصر على عربة تجرها الخيول ويحيط بها جنود القوات المسلحة ، يحملون باقات الزهور ، وتتقدمهم الموسيقات العسكرية ، وأحاطت بالجنازة جماهير غفيرة من أبناء مصر من مسجد عمر مكرم . ثم نقل الجثمان الى سيارة اسعاف حيث نقلته الى أحد المطارات العسكرية . وقد خصصت القوات المسلحة طائرة خاصة لنقل الجثمان الى مدينة الاسكندرية مسقط رأسه ، ليدفن هناك تنفيذا لوصية الفقيد الكبير ، فى مدافن المنارة التى تضم والده وشقيقه .

- وقد رافق الجثمان الى الاسكندرية فى الطائرة أفراد الأسرة ، والدكتور أحمد هيكل وزير الثقافة ، والمستشار السيد الجوسقى محافظ الاسكندرية .

- أصدر محافظ الاسكندرية قرارا باقامة تمثال لفقيد الأدب العربى بحديقة الخالدين بمحطة الرمل . كما قرر الدكتور أحمد هيكل وزير الثقافة اطلاق اسمه على قاعة الاحتفالات بقصر ثقافة الحرية . كما تقرر اطلاق اسم الحكيم على أحد أكبر شوارع الاسكندرية ، وأحد أكبر ميادين القاهرة .

● كان من المفروض أن يطلع « توفيق الحكيم » على هذا الكتاب قبل وفاته بأسبوعين .. فقد تم اعداد الكتاب فى زمن قياسى ، ساهم فيه كل العاملين فى ادارة المطابع برئاسة الأستاذة/ « سميرة عرابى » ، وادارة النشر ، وتم اصدار أربع بروفات من الكتاب .. وشاءت الأقدار .. أن يتضمن الكتاب أخيرا .. هذه السطور بعد رحيل عملاق الأدب العربى المعاصر .. توفيق الحكيم .. رحمه الله ..

الفهرس



رقم الايداع بدار الكتب ١٩٨٧/٤٩٤٦

ISBN _ ٩٧٧ _ ٠١ _ ١٤٦٩ _ ٣

إن الحكيم مثل القوقعة .. لا ينفتح قلبه
أمام الآخرين إلا بحذر شديد .. ومن خلال
عشرة آلاف خطوة معه على كورنيش النيل ،
وطوال أكثر من خمسة وعشرين عاما عشتها
بالقرب منه فى ندواته بالاسكندرية ، وفى مكتبه ،
ولقاءاته ، انفتح قلبه .. فكانت هذه الكلمات .

فتحى الابيارى

٣٧٥ قرشا


مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب